

روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
23
Looloo
www.dvd4arab.com
الذى فعلته !!

وهى دعوة مفتوحة لكل قارئ أيضًا ..

ووعد بالجديد دائمًا ..

أرسل أعمالك وأفكارك واقتراحاتك على عنوان المؤسسة ، وإن كانت تصلح فسترى حلمك يخرجك إلى النور فى شكل كتاب ..

إنها دعوة مستمرة لا تتقيد بحدود الزمان والمكان ، الشرط الوحيد أن يكون عملك صالحًا ..

أسرع ، فنحن فى الانتظار ..

المؤسسة العربية الحديثة

الأربعاء ١٥ / ٥ الساعة ٦,٣٣

المكان : عيادة الدكتور (على)

« هل تؤمنان بالتنويم المغناطيسى ؟؟؟ »

قالها صديقى الدكتور (مجدى) ، فأجبت بسرعة قبل أن يتمادى فى هذا السخف :

ـ لا . . . ولا تحاول تغيير الموضوع من فضلك . .

إلا أنه عاد يكرر :

ـ وماذا عنك يا (على) ؟؟

نظر (على) إلى السقف لحظة مفكرًا ، ثم قال :

ـ لا . . . أعتقد أن الأمر أسخف من أن يكون حقيقيًا . . ثم إنه ابتسم بخبث ليقول :

ـ أعتقد أن (سامى) محق . . أنت تريد تغيير الموضوع . . هل ستتزوج حقًا ؟؟

عقبت على كلامه :

ـ أعتقد أنه يخشى التحدث عنها . . هيا أخبرنا : من هى تلك المعتوهة التى رضيت بك ؟

ابتسم (على) بوقار ، كعادته حين يمنع نفسه من قتلى ، وأجاب :

ـ حسنًا أيها الوغدان . . نعم سأتزوج ، لكنى لن أخبركما من هذه المعتوهة . .

قلت محاولاً استفزازه :

ـ لماذا ؟؟ هل أمرتك بعدم التحدث ؟!

ـ مع الحمقى فحسب . . نعم أمرتنى . .

ـ هيا ، لا تكن وغدًا وأخبرنا من هى . .

ـ سأفعل لو أجبت عن سؤالى ، لماذا لا تؤمن بالتنويم المغناطيسى ؟!

ـ ها قد عدنا إلى ذات الهراء عن التنويم المغناطيسى . .

أجاب (على) نيابة عنى :

ـ لأنه لا يوجد ما يثبت هذا الهراء . . . والآن ، دورك لتخبرنا من هى . .

جلس (مجدى) على المقعد المواجه لنا ، وفرك يديه كعادته حين يكون متوترًا ، ليقول :

ـ حسنًا . . لن أخفى عليكم أن هذا الموضوع يهمنى بشدة هذه الفترة ، أنا طبيب نفسى ، كما تعلمان ، والتنويم المغناطيسى كان جزءًا من الدراسات التى قمت بها الفترة الماضية و . . . و . . .

وبالطبع لم أسمع باقى ما قاله ، بل اتخذت سلاح الشرود الذى أجيد استخدامه كوسيلة لإضاعة الوقت ، حتى ينتهى من كم الدراسات المعتاد الذى يلقيه على مسامعنا ، كلما أردنا أن نحدثه فى موضوع ما . .

من حسن حظه حقًا أننا أصدقاء منذ الطفولة ، وإلا لما كنت احتملته طيلة هذه الفترة . . على الأقل كانت هناك فترات أخرى ، كان (مجدى) أكثر إلى آدمى منه إلى طبيب أمراض نفسية . . وكانت هناك فترات أخرى ، لم أكن أنا فيها الفاشل الأوحد فى هذه الصداقة الثلاثية . .

دعنى آخذ بعض الوقت لأعرفك بنا جيدًا ، قبل أن تمضى بنا الأحداث ولا نجد وقتًا لهذا فيما بعد ، حينها لن أكون أنا سوى مجرد (سامى) ، ولن يكونا هما سوى مجرد (مجدى) و (على) . . ولنبدأ بـ (مجدى) . . .

منذ طفولته ، وهو النموذج المثالى للطالب الوغد الذى يستذكر دروسه جيدًا ، ويلتزم بالقوانين الخرقاء بإيمان عميق ، وإن لم يجد قوانين يلتزم بها ، صنع لنفسه هو القوانين اللازمة لجعل حياته جحيمًا يعرف كل خطوة يخطوها فيه . . . دائمًا ما كان يذكرنى بتلك الصورة على كتب (سلاح التلميذ) ،

لذلك الفتى الذى يقف مبتسمًا وملوحًا بيده لمستقبل مشرق ، لا مجال فيه للمتعة . .

صدقونى لم أدهش على الإطلاق حين دخل كلية الطب ، ليتخرج منها وغدًا ذا معطف أبيض ، تمتلئ كلماته بالألفاظ اللاتينية القميئة . .

والآن (على) . .

(على) ـ ببساطة ـ هو الحظ ـ بلا حساب ـ يمشى على قدمين !!

ولد لأسرة ثرية ، لم تعلمه سوى الكسل واللامبالاة التامة ، فالمستقبل محدد له منذ أن كان فى المهد . . سيمر بمراحل التعليم مرَّ الكرام ، ثم سيدير شركات والده ، ويتحول إلى رجل أعمال . . ولأنه كان يملك وقته كله ، ووسامة موروثة ، فلك أن تتوقع أنه نموذج للوغد الوسيم المرفه ، الذى لا همَّ له سوى اصطياد الفتيات وإلقاء الدعابات هنا وهناك . . وقد كان !

لكن شيئًا ما كان يجذبنى إليه دومًا . . ربما جرأته اللامحدودة . . ربما لأنه لم يكن متكبرًا كأمثاله من الأثرياء . . ربما لأننى حين أكون معه أدخل إلى عوالم ما كان لى أن أراها ، وأنا الذى أعمل فى أثناء دراستى لتوفير نفقاتى . .

أنا . . . الدور علىَّ أنا . .

حسنًا . . لأننى أتحدث عن نفسى فلا تتوقع أن كل ما سأقوله هو حقيقى مائة فى المائة ، وهذه قاعدة عامة أولى ، أى شخص يتحدث عن نفسه لا يمنحك سوى انطباعاته الشخصية عمًا يود أن يكونه ، لا حقيقته المجردة كما هى . .

القاعدة الثانية : هى أن أى شخص يحدثك عن نفسه لا بد أن يكون ثرثارًا وهذا ما لن أشذ أنا عنه . . ما أملكه وأستحقه عن جدارة حقيقية ، هو جسد ممشوق القوام ، تبرز عضلاته بتناسق لافت للنظر ، وقدر لا بأس به من الوسامة ، مما يجعلنى أقترب من أن أكون نجمًا سينمائيًا أو رجل شرطة محنك . . ولأن الاحتمال الأول ليس متوافرًا لمن هم من أسرة شبه معدمة ، لذا فلا تستغرب لو عرفت أننى ضابط شرطة . .

وهاك نصيحة أخرى مجانية . .

لو أردت أن تصبح ضابط شرطة فعليك أن تكون قاسيًا ، تتحلى بدرجة من الفظاظة التى ستكتسبها رغمًا عنك ، سواء من تعاملك مع المجرمين أو مع رجال الشرطة الأعلى رتبة !

أربع سنوات قضيتها من عمرى أطارد الأوغاد ، حتى ألفتهم . . . حتى أصبحت لا أطيق فراقهم . . حتى أصبحت أتساءل حقًا ، عن كنه كلمة (الوغد) ؟؟!

أحد زملائى قال لى إن هذه مرحلة طبيعية يمر بها كل شرطى من كثرة ما رآه ، بعد هذا يتحول الشرطى إلى وغد آخر ، لكنه هذه المرة يحمل شارة ومسدسًا ، وراية القانون !

لست أهتم كثيرًا بما قاله ، لكنى ألحظ التغيرات فى شخصيتى كل يوم . . أصبحت أفضل العزلة ، واكتسب صوتى تلك الخشونة المميزة لمن يقضون نصف نهارهم فى الصياح ، وأصبحت لا أستنكر العنف فى حل الأزمات إلى هذه الدرجة . .

وبالطبع لم يرق هذا كله لزوجتى . . ولو أردنا مزيدًا من الصراحة ، فلا شىء منى سيروق زوجتى فى الفترة القادمة ، خاصة بعد أن أعلنت رفضى التام لإنجاب طفل ، ونحن لم يمض على زواجنا أكثر من عام . .

وأى متزوج - حقيقى - يدرك أن رفقة المجرمين أفضل من رفقة زوجة ثائرة ؛ لذا انغمست

فى العمل فى الآونة الأخيرة ، ولم أخرج منه إلا اليوم لأعرف أن صديقنا الوغد (مجدى) قرر أخيرًا الزواج بعد سنوات طالت من الدراسة . . وها نحن الآن نستمع لكل الهراء الذى حفظة على مر السنين .

« هه . . . هل توافق ؟؟ »

قالها (مجدى) للمرة الثانية وبصوت مرتفع جعلنى أدرك أنها ليست المرة الأولى التى يسألنى فيها هذا السؤال ، فأجبت بصراحة :

- أوافق على ماذا ؟؟

- ألم تصغ إلى شىء مما قلته ؟؟

- ولا حرف . .

- لا بأس . . كل ما أريده هو أن أجرب التنويم المغناطيسى عليكما . .

- هل سنقضى ليلتنا كلها فى هذا الهراء ؟؟!

قلتها أنا بملل واضح ، لكن (على) هزَّ كتفيه بأريحية ، ليقول :

- ولم لا ؟؟ لن نخسر شيئًا على كل حال . .

لكنى قلت بعناد ساخر :

ـ وهل ستستخدم معنا القلادة لتؤرجحها أمامنا كالمشعوذين أم ماذا ؟؟

ابتسم (مجدى) بثقة وقال :

ـ فى حالتك هذه لن تجدى الطرق التقليدية نفعًا .. ما سأفعله هو أننى سأحقنكما بمهدئ خفيف ليساعدكما على الاسترخاء ، ثم أطلب منكما التحديق فى شاشة الكمبيوتر ، وسيقوم برنامج التنويم الذى صممته بالباقى ..

لكم أكره هذا السخف !!

على كل حال ما الذى سأخسره ؟؟ لنجرب إذا كان هذا سيثبت له أنه أحمق ، وأن كل السنوات التى قضاها فى الدراسة ، كانت مضيعة للوقت ..

وهكذا .. هأنذا أستلقى على أحد الأسرة وعلى الفراش المجاور لى (على) وقد حقنه (مجدى) بالمهدئ ، ليبدو أشبه بالمدمنين بعينيه اللتين تساقط جفناهما .. يبدو أنه لن يحتاج إلى التنويم المغناطيسى ليتصاعد شخيره فى السماء !

انحنى (مجدى) علىَّ وهو يعد المحقن الآخر ، ثم كشف عن ذراعى قائلاً :

ـ على الأقل سيريحنى المهدئ من سخريتك قليلاً ..

أجبت :

ـ ستحتاج للسم كى تتخلص من سخريتى ..

بدت لى ابتسامته غامضة ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟؟!

ودفع بالمهدىء فى عروقى بلا تردد ...

شعرت على الفور باسترخاء عجيب يغزو عضلاتى ، وبشعور أعجب بالسكينة .. أيًا كان ما سيفعله بى فلن أقاوم .. لن أقدر !

تحرك (مجدى) ليغلق النور ، فساد الظلام إلا من ضوء شاشة الكمبيوتر ، فبدا أشبه بشبح ، والضوء ينعكس عن معطفه الأبيض ، بينما يغلف الظلام ملامحه ..

تحدَّث فجاء صوته من بعيد :

ـ الآن .. لا أريد منكما سوى أن تركزا فيما ستريانه على شاشة الكمبيوتر ، ولا شىء سواها .. قالها ونظر إلينا كأنما يستوثق من أننا فهمنا ما قاله .. ثم .. ثم ..

ثم شغل البرنامج ...

☆ ☆ ☆

لا . . لم أسبح فى الظلام ، ولم أشعر بأننى أطير ، إذا كان هذا ما ظننته . .

على العكس تمامًا . . كنت أشعر أننى أهوى بسرعة مخيفة لم أستطع معها حتى الصراخ !

وكان الضوء يغمرنى من كل اتجاه على نحو أفقدنى الرؤية تمامًا . . ودام هذا طويلاً . . طويلاً . . أطول مما قد تتخيل بكثير . .

ثم رأيت تلك الأطياف أخيرًا . . طيف لرجل ما ينحنى على طيف رجل آخر استلقى على أرض - لا وجود لها - بلا حراك . .

كيف عرفت أنهما رجلان . . . لا أعرف . . . لقد كنت فى حالة أقرب إلى الإحساس منها إلى الرؤية . . ثم بدأت سرعة سقوطى تتناقص . . . وتتناقص . .

وتتناقص ثم توقفت عن السقوط بغتة . .

وانفتحت عيناى . .

وهالنى ما رأيت . .

☆ ☆ ☆

الخميس ٢٣ / ٥ الساعة ٩,٤٥
المكان : مركز الشرطة

احتجت لخمس دقائق كاملة ، لأستوعب الموقف الذى وجدت نفسى فيه حين فتحت عينىّ . . وكأى رجل شرطة يحترم نفسه ، بدأت المعلومات تتدفق إلى رأسى فى نقاط منظمة ، ولكن ببطء نوعًا ما ، من شدة الذهول . .

أولا : لم أكن فى عيادة صديقى الدكتور (مجدى) ، حيث كنت حين نومنا مغناطيسيًا . . (كيف ؟؟!! أين أنا ؟!!! هل نجح فى تنويمنا مغناطيسيًا حقًا ؟!!!) .

ثانيًا : كنت فى مركز الشرطة ، حيث أعمل ، ولا تسلنى كيف انتقلت إلى هنا ، فلقد فتحت عينىّ للتو ، وكنت أرتدى ملابس مدنية ، لكنى كنت أحمل بندقية فى يدى . . (ما الذى جاء بى إلى هنا ؟!!! ومتى ؟!!! ولماذا أحمل هذه البندقية ؟!!!) .

ثالثًا : كنت فى قاعة الاجتماعات ، لكنى لم أكن وحيدًا ، والأسوأ من هذا أننى لم أكن مع أى واحد من

الزمـلاء ، بل هناك بضعـة أشخـاص لا أعـرفـهم ، يجلسون على الأرض ، وقد وضع كل منهم يديه خلف رأسه ، مسـددًا إلىّ نظرات عجيبـة مزجت الخوف بالمقت بالرجاء .. تمامًا كـمـا لو كـانـوا رهائن ..

(رهائن ؟!!! كيف ؟؟!! ومن الذى أسرهم ؟!! وأين ذهب الجميع ؟؟ جميع من أعرفهم ويعملون معى فى المركز منذ سنوات ؟؟؟!!) .

رابعًا : كـان هناك من يصـيح من خـارج غـرفـة الاجتماعات بكلمات لم أميزها أولاً ، ثم ها هى تغزو أذنىّ كـالسهام ، بينما أنا أفـغر فمى ذاهلاً عاجزًا عن التصديق ..

« (ساااميى) .. لا داعى لما تفعله .. استسلم وسيكون موقفك أفضل »

ما الذى يقوله هذا الرجل ؟؟!!!

أستسلم ؟!!!

هل يقصد أننى .. أننى .. أننى من يحتجز هؤلاء الرهائن ؟!!

مستحيل بالتأكيد هناك خطأ ما .. لا بد أننى أحلم .. المهدئ الذى حقننى به الوغد (مجدى) يجعلنى أحلم .. أحلم بكابوس !!

لكن أى كـابوس هذا الذى تنزف فيـه من جـرح فى ذراعك ؟؟! جرح لم تصنعه إلا رصاصة ؟!!

وحين استـعدت القدرة - أخيرًا - على التحكم فى لسانى ، تمتمت :

- ما الذى أفعله هنا ؟!!

أجابنى أحد الرهائن بغل حقيقى :

- نعم .. تظاهر بالجنون .. قـد ينجيك هذا مما فعلته ..

رددت من خلفه بذهول تام :

- الذى فعلته ؟؟!!

أجابنى هو بمقت لا حدِ له :

- ألا تعرف ما فـعلتـه ؟؟!! ادخل إلى الغرفـة لترى بنفسك الذى فعلته ، أيها .. أيها ..

وبالطبع لم يكمل .. مـازلت أنا الذى يحمل البندقيـة رغم كل شىء ..

وعاد الصوت من الخارج - ميّزته هذه المرة لأجده صوت زميلى فى العمل (مدحت) - يهتف :

- سااامى .. أنت تعرف الإجراءات المتبعة .. لن تخـرج من هذا المكان إلا لـو استـسلمت .. أكـره أن أضطر إلى اتخاذ إجراء قد يؤذيك ..

لكنى لم أجبه . . بل اتجهت مأخوذًا إلى الغرفة الملحقة بغرفة الاجتماعات ؛ لأرى ما الذى يزعم هذا الرجل أننى فعلته بالضبط . .

وكتصرف منطقى كنت أسدد البندقية تجاه الرهائن طيلة الوقت ، فلم أكن أريد أية مفاجآت وأنا لم أفهم موقفى بعد . . لذا تراجعت بظهرى متجهًا للغرفة ، حتى بلغتها لأفتح بابها بيدى الحرة . . ثم استدرت ببطء لأنظر إلى الهول ذاته . . .

ورغم كونى رجل شرطة معتادًا على رؤية العنف بكل صوره ، إلا أن المشهد أمامى كان فوق قدرتى على الاحتمال ، فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أتقيأ على أرض الغرفة ، ليتأوه أحد الرهائن باشمئزاز . . !!

مستحيل أن أكون قد فعلت هذا . . مستحيل . . مستحيل . . !!

تحدث ذات الرجل بسخرية مقيته :

- هل رأيت ما فعلته أيها الوغد ؟؟!

انقضضت عليه وأنا أقاوم بشدة أن أطلق النار على رأسه ليخرس نهائيًا ، وصرخت فيه على نحو تجمدت له عروق الجميع :

- أنا لم أفعل هذا أيها الحقير . . أتفهم ؟! . . لم أفعله . .

- أهذا ما استطعت قوله . . سل الباقين وسيخبرونك من فعلها . . لقد رأوك بأم أعينهم كما رأيتك أنا . .

نظرت إلى باقى الرهائن ، فجاوبتنى نظراتهم الملتاعة بالإيجاب ، لأنتفض ذاهلاً ، قبل أن أتهاوى مستندًا إلى الجدار ، وأنا أشعر برأسى يدور . .

وكضرب المطارق أتانى صوت (مدحت) يهتف من الخارج :

- أمامك دقيقة واحدة ، إما أن تخرج أو سندخل نحن . . .

استعدت فى ذهنى بسرعة كل ما أعرفه عن (مدحت) ، وعن طباعه ؛ لأجد أنه سيدخل حقًا . . (مدحت) لن تهمه كثيرًا أرواح الضحايا ، إذا وقفت هذه الأرواح فى طريقه . . وهذا يعنى أن أمامى دقيقة واحدة للتحرك . . لندع الفهم لما بعد ، المهم الآن هو الخروج من هذا الموقف الذى لا يعنى إلا سجنى أو قتلى برصاصات زملائى . .

سددت البندقية للجميع لأهتف بصرامة :

ـ لا أحب أن أتصرف بهذه الطريقة ، لكنى أريدكم أن تلزموا أماكنكم مهما حدث .. وإلا .. عاد ذلك الرجل من الرهائن يقول :

ـ وإلا فعلت معنا كما فعلت مع من هم فى الغرفة .. أليس كذلك ؟؟!

عظيم هذا ما أحتاج إليه تمامًا ..

وفقًا لما درسته ... وفى أى حالة احتجاز رهائن ، يكون هناك أحد الرهائن – من أمثال هذا الرجل – شديد العصبية ، على نحو يجعله يتصرف عكس الباقين ، فبدلاً من الهلع والنحيب ، يأخذ هذا الرجل فى إلقاء تعليقات مخيفة أكثر مما يقوله المختطف ذاته ، وهذا الرجل يساعد – دون أن يشعر – المختطف مساعدة عظيمة الفائدة ..

نصيحة مجانية أخرى .. لو قررت احتجاز رهائن ذات يوم ، احرص على أن يكون هذا النموذج هو أحد رهائنك !!

تحركت بسرعة تليق بمحترف مثلى ؛ لأتصرف وفقًا للميزة التى أتمتع بها ، وهى أننى أعرف تمامًا ما سيفعلونه .. مازلت واحدًا منهم .. أو كنت !!

مبدئيًا سيحاصرون المكان من الداخل ، لكن ـ ونظرًا لكونهم داخل مركز الشرطة ـ سيتجاهلون تأمين المكان من الخارج تمامًا .. وهذا يعنى أن المشكلة تكمن فى الخروج من المركز فحسب ، بعد ذلك سيغدو الهرب من المكان كله أشبه بنزهة طريفة ..

أهرب إلى أين ؟؟!

إلى أى مكان أستطيع فيه فهم ما يحدث بالضبط ..

الآن ما أحتاج إليه هو سلك كهربى .. بحثت بعينى لحظة لأجد ذلك السخان الكهربى الذى نستخدمه فى إعداد المشروبات ، فأخذته لأنتزع السلك منه بجذبة قوية .. الآن ما أحتاج إليه هو مدخل للكهرباء والكثير جدًا من الشجاعة .. ها هو القابس الكهربى خلف الأريكة ..

فصلت سلكى السخان عن بعضهما ، ثم وضعت القابس فى المدخل ، وأخذت نفسًا عميقًا ، ثم أوصلت طرفى السلك بحركة سريعة ..

تصاعد الشرر الكهربى بصورة أفزعتنى ، وارتفع لها صراخ الرهائن ، ودفعتنى لإلقاء السلك ، لكنى ضغطت على الطرفين معًا بحذائى المطاطى ، لتدوى

تلك الفرقعة المكتومة . . وليسود الظلام . . وبسرعة اتخذت أقرب الرهائن لى درعًا ، واتجهت به للباب صارخًا :

ـ لا تطلقوا النار . . معى أحد الرهائن . . وبركلة قوية فتحت الباب ، لأجد كل من أعرفهم ومن لا أعرفهم من رجال الشرطة ، وقد حمل سلاحه مسددًا إلى صدرى . .

كان انقطاع التيار الكهربى المباغت عاملاً مهمًا لإصابتهم بالارتباك ، وحين أشعل أحدهم كشافه ليروا الرهينة معى ، تبلبلوا أكثر وأكثر . . وعلى الفور صرخت أنا :

ـ ليتراجع الجميع . . لا أريد أن أضطر لإيذاء أحد . .

صرخ (مدحت) ، وقد أخفى الضوء القادم من خلفه ملامحه ، فلم أتبيَّن مكانه بالضبط :

ـ كف عن الهراء يا (سامى) واستسلم . . أنت تعرف أنك لن تخرج من هنا بهذه الطريقة . .

صحت فيه :

ـ وأنا أعرف أنك لن تطلق النار على الرهينة أمام الجميع . .

ـ وهل تعتقد أننى سأتركك تحطم هيبة الشرطة فى أحد مراكزها ؟!

كنت فى حالة من اللاوعى جعلتنى أصرخ بجنون :

ـ ابتعدوا عن طريقى الآن ، وليخفض الكل سلاحه . . ودون أن أنتظر رد فعل أحد ، سددت البندقية إلى الكشاف الذى يحمله أحدهم ، وأطلقت عليه رصاصة صائبة نسفته ، ودفعت بالرهينة عليهم ؛ لأتصرف آخر تصرف قد يخطر لهم ببال . . عدت إلى غرفة الاجتماعات . .

كنت أعتمد على ذاكرتى تمامًا ، وأنا أتحرك فى هذا الظلام المطبق ، لأتجه إلى مخرج الطوارئ ، خلف مائدة الاجتماعات ، على الرغم من تأكدى أننى سأجد من ينتظرنى فى الأسفل ، لكنى كنت قد قررت أن أستغل حالة الهرج هذه حتى النهاية . .

وما كدت أبلغ الطابق السفلى ، حتى صحت محاولاً تغيير صوتى :

ـ اتجهوا للمدخل الأمامى بسرعة .. (سامى) يحاول الهرب ..

لم أكن أرى من أحدثه بالضبط ، لكنى سمعت صوت أقدام تعدو مبتعدة ، فأدركت أن خدعتى قد انطلت عليهم .. لا يمكننى أن أتهمهم بالغباء ، فلم يحاول أحد الهرب من مركز شرطة من قبل بهذه الطريقة !!

وبخطوات أقرب إلى العدو ، أخذت أتحسس طريقى إلى المدخل الخلفى ، حيث موقف السيارات .. لأجد المكان خاليًا .. بالطبع لم يتصور (مدحت) بغروره أننى سأبلغ هذا الحد .. لكنى بلغته .. وفجأة صرخ أحدهم :

ـ ها هو ..

لكنى لم أتوقف لأرى مصدر الصوت ، بل قفزت إلى سيارتى لأقودها مبتعدًا بسرعة جنونية ..

إلى أين ؟؟!!

إلى أى مكان بعيد عن هنا .. حيث يمكننى أن أفكر و ـ ربما ـ أفهم .. !!

☆ ☆ ☆

الخميس ٢٣ / ٥ الساعة ١١,٢٣

المكان : هضبة المقطم ..

كنت بحاجة لبعض الوقت لأعرف حدود الأرض التى أصبحت أقف عليها .. وكنت بحاجة إلى كل ذرة عقل تبقت لى ..

فى لحظة كنت ممددًا على السرير فى عيادة (مجدى) ، ليجرى علىَّ تلك التجربة اللعينة عن التنويم المغناطيسى ، وفى اللحظة التالية أجد نفسى وقد أصبحت قاتلاً ، ومحتجز رهائن ، ثم هاربًا من العدالة ..

بالطبع قاتل .. وما الذى تظن أننى رأيته فى تلك الغرفة ؟؟!!

لقد رأيت (الذى فعلته) !!!

حسنًا .. الموقف الآن هو أننى مطارد من الشرطة بعد أن كنت شرطيًا .. ولا أعرف حتى كيف حدث هذا ولماذا .. إذن فأول ما علىَّ فعله هو معرفة ما الذى حدث فى تلك الفترة بين التنويم المغناطيسى ، وبين وجودى فى مركز الشرطة ، ويجب أن أفعل هذا بسرعة ، فـ (مدحت) لن يسعى خلفى لمجرد تلبية

نداء الواجب ، بل للانتقام منى ، بعد أن هربت منه بهذه الصورة المحرجة .. وهذا يعنى أنه يجب أن أتحرك أسرع منه ..

وهذا يعنى أن نقطة البدء ستكون من هناك .. من منزل صديقى (مجدى) .. فهناك أشياء عديدة يجب أن يفسرها لى !!

☆ ☆ ☆

طيلة الطريق إلى منزل (مجدى) كنت أردد فى ذهنى .. لا وقت للفزع .. لا وقت لفقدان الأعصاب .. لكن هذا لم يكف لتهدئة انفعالاتى ولا الأفكار التى أخذت تثور فى رأسى ..

على أرض الواقع ، وحين تتعرض إلى موقف غير معتاد ، فإن أول ما تفعله هو أن تتجاهل كل الحلول المبتكرة والعجيبة التى تقرأ عنها فى الروايات ، وتصدم نفسك بصخرة الواقع ؛ لتبدأ فى البحث عن أكثر الحلول منطقية ، وإن بدت لك ساذجة أو سخيفة ..

لذا سجِّل هذه النصيحة أيضًا .. الحلول السخيفة هى الحلول المنطقية دومًا .. ما هى الحلول السخيفة التى نملكها ها هنا ؟؟!

إننى مازلت أحلم .. أسخف من أن يكون واقعًا .. لا يوجد حلم يمتلئ بهذا الكم من التفاصيل ، ومازلت قادرًا على تحسس جرح كتفى ، ومازالت دمائى الجافة تغطى ملابسى ..

إن الأمر كله دعابة سخيفة !! .. حسنًا ، لو اجتمع (مجدى) ، (سامى) ، وكل من هم فى مركز الشرطة - بالاستعانة بأحد مخرجى أفلام الرعب ، لينفذ المشهد الذى رأيته فى الغرفة - على تنفيذ أسخف وأغبى دعابة فى التاريخ الحديث ، لكان هذا مبررًا كافيًا لى كى أقتلهم جميعًا .. على كل حال لا توجد دعابة تطول إلى هذا الحد ..

إن (مجدى) نوّمنى مغناطيسيًا ، وتحكّم بى لأفعل كل هذا دون أن أشعر .. لكن لماذا يفعل (مجدى) هذا ؟؟!! لا تقل لى إنه خطط لهذا كله لمجرد أن يثبت أن التنويم المغناطيسى حقيقة ، ليس إلى درجة أن يدفعنى للقتل .. الفكرة من الأساس مرفوضة ، فحتى تحت تأثير التنويم

المغناطيسى لا يستطيع أحد دفعى لارتكاب مثل هذه الجريمة . .

إذن . .

إذن . . فالحل المنطقى السخيف الوحيد الذى أملكه هو أن أحدهم انتحل شخصيتى ليرتكب الجريمة ، قبل أن أذهب أنا إلى مركز الشرطة ، وبالنسبة للفترة بين تنويمى ووجودى فى المركز ، فلقد كنت مصابًا بفقدان ذاكرة مؤقت ؛ نتيجة تجربة (مجدى) الخرقاء علىّ . .

نعم . . هذا الحل يبدو سخيفًا بما يكفى ليكون حقيقيًا . . المهم الآن هو أن أثبته وبسرعة . . والوحيد الذى قد يساعدنى فى إثبات هذا الحل ، هو من أقف الآن أمام منزله . . (مجدى) . .

خرجت من السيارة ، وصعدت الدرج بخطوات حذرة ـ فلا أريد أن ألفت الأنظار ـ حتى بلغت شقته ، وقرعت الجرس . .

وبالطبع ـ وكما توقعت ـ لم يجب أحد . . وبالطبع الجرس مرة ثانية وثالثة ورابعة . . وانتظرت حتى تأكدت من أن انتظارى سيكون بلا جدوى . .

أين ذهب هذا الأحمق فى الثانية عشرة ليلاً ؟؟!!

إنه يغلق عيادته فى العاشرة مساءً ، ويعود لمنزله لينام كالأطفال ليستيقظ فى التاسعة صباحًا . . أأكون سيئ الحظ ليقرر (مجدى) تغيير نظام حياته فى هذه الليلة بالذات ؟؟ أم يكون قد تعمد هذا ؟؟؟!!!

لن أحاول القفز إلى نتائج مسبقة الآن . .

نظرت أسفل قدمى فوجدت صحيفة اليوم ملقاة أمام الباب ، فالتقطتها بلا اهتمام ، حتى وقعت عيناى على التاريخ . .

الخميس ٢٣ / ٥ ؟؟؟؟!!!!

لقد كنت عند (مجدى) يوم الأربعاء ١٥ / ٥ . . أى قبل أسبوع كامل !!! كيف ؟؟!!

أسبوع كامل يمر علىّ دون أن أشعر به !!!

هل فقدت ذاكرتى طيلة هذه الفترة ؟؟؟

ما الذى يحدث بالضبط ؟؟؟!

وكيف ينتهى ؟؟؟

☆ ☆ ☆

الجمعة ٢٤ / ٥ الساعة ١,٤٢ صباحًا
المكان : المعادى ..

كان يجب أن أتجه إلى منزلى ، لأقابل زوجتى علّها تخبرنى بما حدث خلال الأسبوع الماضى .. ربما كانت تعرف أى شىء .. أى شىء يساعدنى على الفهم ..

ولن أدعى أننى أهيم حبًا فى زوجتى ، لكنى كنت أشعر بقلق بالغ عليها ..

ترى هل عرفت بما حدث الليلة ؟؟! .. مؤكد .. (مدحت) سيفعلها دونما تردد .. على كل حال ، ما يقلقنى حقًا ، هو ما قد أكون فعلته خلال الأسبوع الماضى .. يجب أن أطمئن عليها .. يجب ..

لكن القاعدة العامة تقول إن أول مكان قد يلجأ إليه أى هارب ، هو منزله ، لذا فعلىّ أن أتوقع أن أجد المكان مراقبًا من قبل الزملاء ، ينتظرون ظهورى ليحرزوا مجدًا فى القبض على مجرم خطير ، وليقدمونى لأيدى العدالة ..

ولأن الشىء بالشىء يذكر ، فلابد أنهم يراقبون هاتف منزلى ، مما يفقدنى ميزة الاتصال بزوجتى ، وتجنب مخاطرة الذهاب إليها ..

أعرف أنك تفكر الآن فى أننى أحمق كى أخاطر بذهابى ؛ لأن الهاتف مراقب ، لكن الموقف أكثر تعقيدًا مما يبدو .. زوجتى لن تستمع إلىّ عبر الهاتف .. قبل أن يحدث ما حدث لم تكن الأمور بيننا على ما يرام ، ولن أدعى أننى أثق كثيرًا فى رد فعلها إزاء كل ما يحدث .. يجب أن أراها بنفسى وأحدثها ، ولكن كيف ؟؟!

ما أريده الآن هو وسيلة لدخول منزلى دون أن يشعر بى أحد ، مع الوضع فى الاعتبار أن كل ما تراه فى الأفلام فى المواقف المشابهة هو هراء محض ..

لو كان الأمر بسهولة أن أدعى أننى بائع اللبن ، لما تجشمت عناء دخول كلية الشرطة منذ البداية !!

والآن هل تستطيع أن تخبرنى : كيف أدخل إلى منزلى تحت أعين الجميع ، ودون أن ينتبهوا إلى هويتى ؟؟!!

أنا سأخبرك ..

ما ستفعله هو ..

☆ ☆ ☆

فى جراج المبنى المجاور للمبنى الذى أعيش فيه ، كنت أتحرك فى الظلام بحذر بالغ رغم تأكدى أن البواب يغط فى نوم عميق فى الأعلى .. أعتقد أن ما سأفعله لن يروق له على الإطلاق .

أخذت أبحث على ضوء كشاف أحمله معى عن سيارة تقف بعيدًا عن السيارات الأخرى ، حتى عثرت على واحدة فى أحد الأركان ، فاتجهت إليها حاملاً دلو البنزين الذى كنت أحتفظ به فى حقيبة سيارتى للطوارئ .. لن يسامحنى صاحب هذه السيارة أبدًا لكنى مضطر .

أغرقت السيارة بالبنزين الذى أحمله ، ثم ابتعدت عنها نسبيًا لأشعل النار بقداحتى فى قطعة ورق ، وانتظرت حتى أصبحت الشعلة كافية ، ثم ألقيت بها على السيارة ، قبل أن أبتعد عن المكان بسرعة ، ومن خلفى بدأ الحريق ..

لو صح تصورى ، ستنفجر السيارة بعد لحظات بدوى هائل ، يكفى لتشغيل أجهزة إنذار السيارات الأخرى ، ولجذب انتباه الجميع إلى هنا .. الجميع بما فيهم (مدحت) ومن معه ..

انتظرت فى الخارج قرب المبنى خلف الشجيرات ، حتى بدأ المهرجان .. لقد فاق الأمر توقعاتى حقًا .. السيارة انفجرت بدوى هائل ، ثم انتشرت النيران لتجد طريقها للسيارات الأخرى ، ولن يمضى وقت طويل ،

حتى تنفجر هى الأخرى ..

وكما توقعت ساد هرج ومرج ، وتصاعدت بضع صرخات من هنا وهناك ، وأضيئت النوافذ فى المبنى الذى تحول جراجه إلى جحيم ، وفى المبنى الذى أعيش فيه ، واندفع بضعة رجال بملابسهم المدنية ، من خلف أحد الأسوار إلى الحريق ، ميزت من بينهم (مدحت) ..

لم أنتظر أنا لأرى ما سيحدث ، بل اندفعت أعدو إلى مدخل عمارتى الخلفى ، ومنه إلى سلم الطوارئ ، حتى بلغت الطابق الذى أعيش فيه ، ثم اقتحمت شقتى اقتحامًا ، وأغلقت الباب خلفى .. أخيرًا أنا فى منزلى !!

كانت الأنوار مضاءة ، وكنت أسمع حركة فى غرفة النوم ، وسمعت زوجتى تهتف

من بالخارج :

ـ من ؟؟!!

أسرعت إليها قبل أن يجذب صوتها جميع من هنا ، ولم تكد ترانى حتى شحب وجهها كأنها رأت شبحًا ، ثم حدث أغرب شىء من الممكن أن يحدث ..

انقلبت ملامحها بغتته ؛ لتعكس بغضًا لا حد له ، وخرج صوتها تتنازع فيه نبرات الغضب بالمقت ، وهى تقول :

ـ أنت ؟؟

كنت قد جئت إلى هنا لـلاطمئنان عليها فى المقام الأول ، ولأعـرف مـا الذى يحـدث من حـولـى ، لكن النبرة التى تحدثت بها شلّت تفكيرى تماماً ، وجعلتنى أقول :

- (نجوى) . . ما الذى حدث ؟؟

تابعت هى بصوت مختنق :

- وتجـرؤ على المجىء إلى هنا ثانيـة ؟؟! يالك من صفيق !!

اندفـعت دمـاء الغـضب فى عـروقى ، ونسيت كل ما جئت من أجله ، لأهتف :

- (نجوى) . . كيف تجرئين على التحدث إلىّ هكذا ؟!!

- بل كيف جرؤت أنت على القدوم إلى هنا ؟

- إذا كنت تتحدثين عمّا حدث اليوم . . فلم أكن أنا القاتل ، صدقينى هناك خطأ ما .

وصرخت مذهولة :

- قاتل ؟!! ألم يكفك ما فعلته ؟!!

شعرت بذلك الشعور الغريب حين تتحدث إلى شخص ما لتدرك أن كلاً منكما يتحدث عن شىء مختلف ، فسألتها :

- عن ماذا تتحدثين بالضبط ؟!

استردت نبرة الغضب ، وهى تجيب :

- عن طلاقى أيها النذل . . طلاقى بعد كل مـا فعلتـه من أجلك !!

جاء دورى لأهتف بذهول انتفض جسدى كله له :

- أنا طلقتك ؟؟!!

- هل ستتظاهر بالعته أيها النذل ؟؟ نعم طلقتنى . . اختفيت طيلة الأسبوع الماضى لترسل لى ورقة طلاقى . . أيها الصفيق . .

حسنًا . . هاك أول شىء أعرفـه عمّا فعلتـه الأسبوع الماضى . . طلقت زوجتى !!

واصلت هى الصراخ :

- اخرج من هنا . . لم يعد لك الحق فى التواجد فى الشقة . .

قـاومت الدوار الذى أصابنـى من فرط المفـاجأة ، لأقول :

- أصغى إلىّ جيداً . . ثمـة شىء يصعب علىّ شرحه الآن ، أنا لا أعـرف أى شىء عمّـا فعلتـه فى الأسبوع الماضى . . لقد فقدت ذاكراتى تقريباً فى تلك الفترة ، وأعدك

أننى سأصحح هذا الخطأ ، لكنى الآن أحتاج لمساعدتك . .
إنهم يعتقدون أننى قتلت البعض فى مركز الشرطة ، ويجب أن أثبت براءتى . .

قتلت البعض !!!

لقد ارتكبت مذبحة فى مركز الشرطة كما يعتقدون ، لكن لا يجب أن تعرف هى هذه التفاصيل !!

صمتت هى لحظة لتستوعب ما قلته ، وقد جمدت ملامحها على الدهشة وعدم التصديق . . وحين تحدثت أخيرًا قالت :

ـ لن أسمح بوجود قاتل فى منزلى . .

هل جرّبت من قبل أن تكتشف المرأة التى تزوجتها لأول مرة ؟!! أنا فعلت !!

بدهشة حملت قدرًا لا بأس به من المرارة وقلت :

ـ (نجوى) . . أنت زوجتى !!

ـ لم أعد زوجتك أيها القاتل . . اخرج من هنا فورًا . .

ـ لكنى أحتاج إليك . .

لكنها واصلت غرز السكاكين فى صدرى ، قائلة :

ـ لا يهمنى تفسيرك لما حدث . . لقد رفضت الإنجاب منّى ، ثم طلقتنى . . والآن أنت قاتل ، ولن

أستبعد أن تكون أنت من حرق السيارات فى جراج المبنى المجاور . . والآن أنا لم أعد أريدك . . اخرج من هنا ، أو أتصل بزملائك ليقبضوا عليك . .

هل جرّبت من قبل أن تكتشف المرأة التى تزوجتها لأول مرة ؟!! أرجوك لا تفعل !!!

الآن أنا بمفردى تمامًا . .

الآن لم يعد لوجودى هنا مبرر . .

وبكل ما تعتمل به نفسى من غضب ومرارة ، قلت :

ـ أيًا كان ما حدث لى طيلة الأسبوع الماضى . . لقد أحسنت صنعًا بتطليقك . . لن أندم على هذا أبدًا . .

واتجهت لأغادر المنزل ناسيًا تمامًا ما ينتظرنى فى الخارج ، أو أننى لم أعد أهتم . . لست أدرى ! كل ما أذكره هو أننى ما كدت أمد يدى لأفتح الباب مغادرًا ، حتى هوت عليه تلك الطرقات الهادرة من الخارج ، أعقبها صوت (مدحت) يقول :

ـ افتح يا (سامى) . . أنا أعرف أنك بالداخل . .

☆ ☆ ☆

الجمعة ٢٤ / ٥ الساعة ٢,٢٢ صباحًا

المكان : المعادى ..

ها أنا الآن أقدم لكم بثًا مباشرًا من أمام باب منزلى ، حيث تقف زوجتى خلفى مذهولة ، بينما (مدحت) على وشك اقتحام الباب ليلقى القبض علىّ ما لم يقتلنى أولاً . .

حسنًا . . هل يمكنك أن تخبرنى كيف أتصرف ، ما دمت تهوى قراءة الروايات البوليسية ؟؟؟!

لا يمكن العودة إلى سلم الطوارئ ولا القفز من النافذة ـ أنا أعيش فى الطابق الخامس ـ ولا يمكننى أن أخرج لأطلق النار على الجميع . . كيف أتصرف إذن ؟؟!!

ربما يمكننى شراء بعض الوقت لو . . . لكن زوجتى العزيزة صرخت فجأة :

ـ إنه هنااا . . أنقذونى منه !!

ثم إنها نظرت لى مبتسمة بتشف . . ألم أقل لك إن رفقة المجرمين أهون من رفقة زوجة ثائرة ؟!! التفت إليها لأهمس بغضب :

ـ لو كنت أملك الوقت لقتلتك بيدى . .

وهكذا لم يعد أمامى سوى حل واحد . .

التقطت نفسًا عميقًا ، وشددت قامتى بحزم ، و . . و . . وفتحت الباب . .

كان (مدحت) يتخذ ذلك الوضع البوليسى الأحمق الذى تراه فى الأفلام ، ومن حوله ثلاثة أو أربعة من الزملاء ، وقد سددوا مسدساتهم بتوتر بالغ ، وهتف (مدحت) بلهجة سينمائية بحتة :

ـ ارفع يديك واستدر . .

لو كنا فى ظروف أفضل لانفجرت ضحكًا ، لكنى هذه المرة لم أملك إلا أن أقول بملل :

ـ (مدحت) . . كف عن هذا الهراء . . لن أقاومك . .

ـ قلت لك ارفع ذراعيك فى الهواء واستدر . .

ودعنى أعرفك ـ لن يأخذ الأمر أكثر من لحظة ـ بزميلى العزيز (مدحت) ، وإلا أصبح بالنسبة لك مجرد (مدحت) .

أسمر . . وغد . . قصير . . قبيح . . غبى . . شجاع . . لم يدخل كلية الشرطة إلا ليجد مبررًا لحمل السلاح ، وإشهاره فى وجوه الناس بتلك الصورة السينمائية التى يتقنها ، والتى جعلته دومًا موضع سخرية منّى . . !!

هذا هو (مدحت) بلا تقصير أو اختصار . . ولا بد أن اليوم هو أسعد يوم فى حياته المهنية على الإطلاق !

استدرت ببطء فانقض علىَّ ليحيط معصمىَّ بالأغلال ، وهو يردد :

ـ كنت تظن أنك ستهرب . . هه ؟!

قلت رغم تأكدى أن ما سأقوله بلا جدوى :

ـ أنا لم أقتلهم يا (مدحت) . .

ـ قل هذا لكل من رآوك تفعلها . .

ـ لكنك تعرفنى . .

ـ بالطبع أعرفك . . وكنت أنتظر هذا اليوم على أحر من الجمر . .

وأمام أعين الجميع ـ بما فيهم زملائى ، وزوجتى وبعض الجيران الفضوليين ـ أخذونى إلى الأسفل ليضعونى فى سيارة (مدحت) ، ولينطلق الموكب كله إلى مركز الشرطة . .

وعلى الرغم من أننى كنت ذاهبًا لألقى أسوأ مصير ينتظرنى كقاتل ، إلا أننى لم أشعر إلا بالمهانة والمرارة . .

لو كانوا رحماء بى ، فسيقدمونى للمحاكمة ، حيث سأقف أمام القاضى لأقول : « معذرة يا سيدى القاضى . . لكننى لا أذكر أى شىء حدث لى فى الأسبوع الماضى . . نعم الكل رآنى أقتل ولا أعرف كيف ، وبصماتى على السلاح ، واحتجزت رهائن ، وفجَّرت جراج سيارات . . لكنى آسف ، ولن أفعل هذا ثانية » !!!

بالتأكيد سيضحك القاضى ملء شدقيه قبل أن يحكم علىَّ بالإعدام !!

أين أنت يا (مجدى) ؟؟! أين ؟؟!!

أنت الأمل الوحيد الذى أملكه . .

يجب أن أهرب . . يجب . . ولكن كيف ؟!!

(مدحت) يجلس جوارى متأهبًا ، والأغلال تحيط بمعصمى ، وهناك سيارة شرطة أخرى تتبعنا وأخرى أمامنا . .

أين الحلول البوليسية يا قارئ الروايات ؟!!

هل تعرف كيف تتصرف فى موقف مشابه ؟؟!

حسنًا أنا سأخبرك . . ما ستفعله هو . .

☆ ☆ ☆

الجمعة ٢٤ / ٥ الساعة ٢,٤٥ صباحًا

المكان : سيارة (مدحت) ..

سيارة الشرطة ـ وكما يعرف الجميع ـ ينفصل القسم الأمامى داخلها عن المقعد الخلفى بحاجز زجاجى مضاد للكسر ، والأبواب الخلفية غير مزودة برتاج من الداخل بحيث يصبح من بالمقعد الخلفى معزولاً تمامًا وعاجزًا عن الخروج من السيارة ..

لكن ماذا عن الزجاج الخلفى للسيارة ؟؟! لنتخلص أولاً من الأغلال .. لن أحتاج لمهارات خاصة ، فأنا رجل شرطة ومدرب على التصرف فى مثل هذه المواقف ، وهذا ما يبدو أن (مدحت) قد نسيه لفرط غروره أو لحسن حظى ..

بالطبع لن أخبرك كيف تتخلص من الأغلال على هذه الصفحات ، لكن يكفى أن تعرف أن الأمر استغرق منى وقتًا لا بأس به ، وحذرًا شديدًا مع نظرات (مدحت) المتشككة التى أخذ يلسعنى بها بين الحين والآخر ..

حين تخلصت من الأغلال أخيرًا ، التفت لـ (مدحت) لأقول :

ـ أنت تعرف جيدًا أننى لا أقتل ..

زمجر هو قائلاً :

ـ وأنت تعرف أن هذا لا يهمنى فى شىء ..

ـ إذن .. أنت لم تترك لى الخيار ..

وقبل أن يفهم ما أعنيه ، كنت قد انتزعت مسدسه من حزامه ، لأهوى بمقبضه على وجهه .. شهق هو بعنف ، ثم فقد الوعى ، بينما هتف السائق الذى رآنا عبر المرآة الأمامية :

ـ ما الذى تفعله ؟!!

هتفت أنا :

ـ واصل القيادة وإلا أطلقت النار ..

ـ الزجاج بيننا مضاد للرصاص ، وأنت تعرف هذا ..

ـ سأطلق النار إذن على (مدحت) .. لا أظنه مضادًا للرصاصات هو الآخر ..

غمغم السائق بشىء لم أتبينه ، فتجاهلته ، وأخذت أركز عينى على الطريق .. من الواضح أن من فى السيارتين الأخريين لم يشعروا بما حدث .. ويجب أن أستغل هذا جيداً ..

أسرعت أحيط معصمى (مدحت) الفاقد الوعى بالأغلال ، تحسباً لأن يستيقظ بغتة ، ثم قلت للسائق :

- اهرب ..

- ماذا ؟!!

- قلت لك اهرب .. ابتعد عن السيارتين الأخريين ..

- لكنهم سيطاردوننى لو فعلت ..

- أعرف .. لكنى سأقتل (مدحت) لو أمسكوا بنا ..

- لن تفعلها ..

- لم لا ؟؟! إننى قاتل على كل حال .. أليس كذلك ؟!

تردد السائق لحظة ، لكنى جذبت زناد المسدس مهدداً ، فانحرف بالسيارة بغتة لينطلق فى الاتجاه المعاكس ..

وعلى الفور هتف أحد من فى السيارتين عبر جهاز الإرسال :

- (هشام) .. ما الذى تفعله ؟؟!!

هتفت بالسائق :

- لا تجب .. انطلق فحسب ..

نفذ السائق ما قلته على مضض ، ولم تجد السيارتان الأخريان بداً إلا أن تبدأا فى مطاردة سيارتنا . اطمئن .. لن أضيع الوقت فى وصف المطاردة ، لكنى أعترف بأن قائد سيارتنا كان بارعاً حقاً ، ومن المؤسف أننى لم أتعرف عليه فى ظروف أخرى ..

وحين انتهت المطاردة ، وابتعدنا بما فيه الكفاية ، قال السائق بغيظ :

- إلى أين سنذهب ؟ أجبته :

- إلى أى مكان معزول .. أريد أن أخرج من هنا ..

- لن تتمكن من الهرب ..

- هذه مشكلتى ..

اتجه بى إلى أحد الأحياء السكنية الخالية قرب زهراء المعادى ، فطلبت منه التوقف والخروج ليفتح لى باب السيارة .. ورغم شعورى بالضيق الشديد لما

سأفعله إلا أننى أحطت معصميه بالأغلال ، مستغلاً (مدحت) كرهينة معى .. وقبل أن أبتعد عن المكان التفت للسائق لأقول :

ـ أعرف أنك لن تصدقنى ، لكنى آسف حقًا لما فعلت .. ربما جاء يوم أستطيع أن أشرح لك فيه ما يحدث ..

لكن السائق لم يجبنى .. اكتفى بأن سدد إلىّ نظرات صامتة تحمل ألف معنى ، فتركته ، وابتعدت سيرًا على الأقدام ـ لم يكن من الممكن أن آخذ السيارة ، لكنى تأكدت من إتلاف الإطارات الأربعة ـ دون وجهة محددة ..

وهكذا عدت هاربًا مرة أخرى من أيدى العدالة ..

وهكذا بدأت رحلتى الطويلة ..

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة السابعة صباحًا
المكان : شقة فى المهندسين ..

حين استيقظت كنت مازلت أشعر بدوار عنيف يكتنفنى ، وبرغبة عارمة فى العودة إلى النوم مجددًا ، لكنى لم أفعل .. لا أملك وقتى إلى هذه الدرجة لأضيعه فى النوم .. وكان ذلك الحلم الذى حلمت به ماثلاً أمامى بصورة عجيبة حقًا ..

كنت أحلم أننى أسقط بسرعة مخيفة ، والضوء يغمرنى من كل اتجاه على نحو منعنى من الرؤية تمامًا .. تمامًا كما حدث حين نوّمنى (مجدى) مغناطيسيًا ..

ثم رأيت تلك القاعة مجددًا ، وذلك الطيف لرجل ينحنى على طيف رجل آخر ممدد على الأرض بلا حراك .. كأنه .. كأنه ميت !!

ثم أخذت سرعة سقوطى تتناقص وتتناقص ، حتى فتحت عينى بغتة لأجد نفسى ممددًا على أرض شقة صديقى (سليمان) التى اقتحمتها ليلة أمس .. حمدًا لله أنه مسافر !!

كان جرح ذراعى قد بدأ يلتئم ـ لم يكون سوى جرح سطحى ـ لكننى كنت أشعر بإنهاك عجيب مع كل ما حدث أمس . .

أنا بحاجة إلى حمام ساخن ، وثياب نظيفة . . وأعتقد أنهما متاحان هنا ، صحيح أن ملابس (سليمان) ستبدو واسعة علىّ بعض الشىء ، لكن من يبحث عن الأناقة فى مثل هذه الظروف ؟!

وهكذا اتجهت إلى الحمام ؛ لأتخلص من ملابسى الملوثة بالدماء ، ولم أخرج إلا وقد استعدت بعض حيويتى . .

الخبر المؤسف أننى لم أجد أى طعام فى الثلاجة ، لذا يمكننى أن أؤجل هذا الموضوع ـ مضطراً ـ إلى وقت آخر . .

والآن . . ما هى الخطوة القادمة ؟؟ بالطبع لن أنتظر هنا ، حتى يأتى الفرج ، ولكن يجب أن أتصرف بحذر بالغ ، فالكل يسعى خلفى الآن ، ولن أستبعد أن تحتل صورتى صفحات الجرائد اليوم مع مكافأة لمن يرشد عنّى ، لذا يجب البحث عن وسيلة تتيح لى حرية الحركة . .

التنكر ؟؟!

أعرف أننى لا أمتلك حلاً سواه ، لكنى كيف ؟؟!! لست رجل مخابرات مدرباً على هذه الأفعال ، ولا تتوقع منى أن أسير فى الشارع مرتدياً ثلاثة أقنعة مختلفة لا تمت لوجهى بصلة . .

دعك من القصص التى تقرؤها ، وأخبرنى بالله عليك كيف يتنكر رجل ذو وجه طويل ، عظام وجنتيه بارزة ، برجل مستدير الوجه ذى أنف أفطس ، وملامح دقيقة دون أن يبدو هذا مضحكاً ؟؟!

على كل حال لست مطالباً بالتنكر بملامح (رشدى أباظة) كل ما أحتاج إليه هو أن أتخلص من ذقنى وشاربى وأرتدى منظاراً أسود ، وأصبغ شعرى باللون الأشقر ، وسأبدو كسائح أجنبى ، خاصة وأننى ورثت الملامح الأجنبية من جدتى اليونانية . .

وبالطبع يفضل أن أبتعد عن العامة ، وألا أتعامل مع أحدهم بصورة مباشرة إلا للضرورة القصوى . . عظيم . . خطوتى التالية إذن هى الذهاب إلى عيادة

(مجدى) .. ذلك الرجل مدين لى ببعض التفسيرات .. وربما بخلاصى من الموقف الذى أنا فيه الآن .

كنت أفكر فى هذا كله حين سمعت طرقًا قويًا على الباب وصوتًا أجش يهتف :

ـ افتح .. أعرف أنك بالداخل ..

☆ ☆ ☆

لم يكن أمامى خيار آخر ..

نظرت عبر عدسة الباب ، فرأيت رجلاً بدينًا يلهث من صعود السلم ، وتبدو على ملامحه أمارات البلاهة كأوضح ما تكون ..

أسرعت لأحضر المنشفة لألفها حول رأسى ، بحيث تخفى وجهى نوعًا ما ، ثم فتحت الباب متظاهرًا بالنعاس ، لينظر لى ذلك الرجل الأبله ببلاهة ، قبل أن يقول :

ـ عذرًا .. لكن أليست هذه شقة الأستاذ (سليمان حربى) ؟؟!

أجبته بلا تردد :

ـ نعم .. لكنه مسافر وأنا قريبه ، واستعرت منه الشقة لحين عودته ..

هزّ الأبله رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ عذرًا .. لكنى رأيت حركة عبر النافذة فظننته هو أنا جاره فى المبنى المقابل (علوى) .. أرجو ألا أكون قد أزعجتك ..

ـ لا عليك ..

وبالطبع لم أطلب منه الدخول ، فوقف مترددًا لحظة قبل أن يقول :

ـ حسنًا .. سأنصرف الآن ، وأرجو أن تبلغه سلامى لو اتصلت به ..

ـ بالتأكيد سأفعل ..

وقبل أن يقول المزيد كنت قد أغلقت الباب فى وجهه ، بقلة تهذيب لا تنكر .. لم أكن مخيرًا فى هذا .. إنذار كاذب كما يقولون .. لكنى كنت أشعر بأنى كفريسة كانت على وشك السقوط فى الشرك ..

يا إلهى .. متى ينتهى هذا كله ؟؟!!
متى ؟؟!

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة التاسعة صباحًا
المكان : عيادة الدكتور (مجدى) ..

استغرق الأمر منّى ساعتين حتى أحلق ذقنى ، وأصبغ شعرى ، وأبدل ثيابى ، قبل أن أقفز فى أول سيارة أجرة قابلتها ، لأتجه إلى عيادة (مجدى) فى (مدينة نصر) ..

كانت الساعة التاسعة صباحًا ، ولم أكن أتوقع أن أجده فى العيادة ، لكنى كنت أنوى انتظاره فى الداخل .. كما تعرف ، الأبواب المغلقة لا تشكل عائقًا حقيقيًا أمام أى شرطى ، ثم إننا فى (مدينة نصر) ، حيث لا يمكنك أن تتوقع جيرانًا متطفلين ، فالقاعدة العامة هنا هى (لا شىء يحدث فى الخارج مادام لا يحدث لى) .. لهذا أمقت هذه الأحياء كالجحيم !!

صعدت الدرج إلى الطابق الثالث حيث عيادة (مجدى) ، ووقفت لحظة لأتأكد من أنه لا يوجد أحد فى الجوار ، ثم عالجت القفل بسهولة لأجد نفسى داخل العيادة ..

حيث بدأ كل شىء ..

ها هو المكتب ، والأوراق المبعثرة على سطحه كما رأيته آخر مرة .. وها هو الفراش ، حيث كنت أتمدد جوار (على) و ..

بالمناسبة ، أين (على) ؟؟!!

انتبهت فى هذه اللحظة فقط إلى أننى نسيت (عليًا) تمامًا ، وأنه خاض ذات التجربة معى .. ترى أين هو الآن ؟؟!!

والأهم .. ما الذى يكون قد فعله ؟؟!!!

سأترك هذه النقطة الآن على أن أعود إليها قريبًا ..

والآن ها هو الكمبيوتر الذى شغله (مجدى) لتنويمنا مغناطيسيًا .. وها هو الشعور بالحنق الممتزج بالمرارة ؛ لأننى رفضت أن أتعلم استخدام الكمبيوتر حين نصحنى الجميع بذلك .. قد تحمل هذه العلبة المعدنية إجابات جميع أسئلتى ، بينما أنا عاجز عن مجرد تشغيلها ..

وكالعادة ليس أمامى سوى الانتظار .. انتظار أرجو ألا يطول ..

أخذت أتجول فى الغرفة من حولى ، باحثًا عن لا شىء ، محاولاً إضاعة الوقت حتى يأتى (مجدى) من المكان الذى اختفى فيه ليلة أمس ..

وبالطبع لم أجد سوى زوجتى وما فعلته كوسيلة للانشغال ، حتى يأتى (مجدى) . . أعتقد أننى فى الظروف المثالية لأصاب بالرثاء على النفس . .

لم تكن صدمتى فى زوجتى صدمة عاطفية بقدر ما هى طعنة فى رجولتى . . نحن لم نتزوج بعد قصة حب ملتهبة ، إذا كان هذا ما ظننته ، لكنه زواج (صالونات) كما يقولون ، التزام متبادل مع وعود بنوع من العاطفة التى ستولد فى وقت ما ، نسميها نحن (العشرة) لا الحب . .

صحيح أن ما فعلته يحمل جزءًا من المنطق ، فلقد اختفيت أسبوعًا لتصلها ورقة طلاقها . . ما الذى كنت أنتظره منها على كل حال ؟!!

كنت ممددًا على الفراش أستعيد بعض الذكريات المضطربة ، لمجرد إضاعة الوقت ، حتى شعرت بحركة خلفى ، فاعتدلت بسرعة لأواجه ذلك الشخص ، متأهبًا للأسوأ . .

وكانت هذه هى أول مرة أرى فيها (مايا) . .

☆ ☆ ☆

لو أنصفنا لخصصنا باقى صفحات هذا الكتيب لوصف كل تفصيلة صغيرة فى (مايا) . . وقبل أن يبتسم أحد الخبثاء فى سره ليقول « إذن هذه هى قصة الحب المنتظرة » أقول : استمعوا إلى وصفها أولاً . .

نحيفة هى (مايا) تلك النحافة التى لا يحصل عليها سوى الأغنياء أو من يتضورون جوعًا . . نحيفة إلى درجة بروز عظامها . . نحيفة إلى درجة الهشاشة !

كانت ذات ملامح أنثوية هادئة ، لا تحمل إثارة من أى نوع ، حتى مع المكياج الذى لطخت به ملامحها دون تمييز ، وكانت الهالات السوداء حول عينيها ، تنبئ عن ليال طويلة من الأرق ، وفوق رأسها الصغير شعر أسود قصير ، مما جعلها أشبه بدمية منها إلى آدمية . .

كانت ترتدى ملابس لا تخلو من الأناقة ، لكنها تخلو تمامًا من العناية ، مما أكد لى نظرية ليالى الأرق هذه . . من المؤكد أنها عانت من الأرق طويلاً ، حتى اختل توازنها العقلى ، لتخرج من منزلها بهذه الصورة . .

وكانت تدخن !!

حين التفت إليها أطلقت حلقات الدخان من فمها مع السؤال المتوقع :

ـ من أنت ؟!

اتخذت على الفور شخصية رجل الشرطة اليقظ ، لأرد على سؤالها بسؤال :

ـ بل من أنت ؟ وكيف دخلت هنا ؟؟؟

منحتنى الإجابة مغلفة بدخان سيجارتها :

ـ أنا ممرضة وأعمل هنا .. والدكتور (مجدى) منحنى نسخة من المفتاح لأدخل فى غيابه .. ماذا عنك ؟؟

أجبت :

ـ أنا صديقه ..

ـ وكيف دخلت إلى هنا ؟!

ـ أنا أيضاً أحمل نسخة من المفتاح ..

نظرت إلىَّ نظرة عميقة بعينيها الرماديتين ، شعرت معها وكأننى أنظر إلى المجهول ذاته .. أستطيع أن أقضى نصف عمرى أحدق فى هاتين العينين دون شعور بالملل ..

ثم إنها قالت أخيراً :

ـ أنت تكذب ..

شعرت بدهشة ممتزجة بالحنق الموروث من العزة بالإثم ، فهتفت :

ـ كيف تجرئين ؟؟!

هزّت كتفيها ببساطة ، وقالت :

ـ إننى أعمل مع دكتور نفسىّ منذ سنوات ، ولا تريدنى أن أميزّ من يكذب حين أراه ؟!! لا بد أنك تمزح !

قلت منتبهاً :

ـ تعملين عنده منذ سنوات ؟؟! لكنى لم أرك هنا من قبل !!

أجابت ببرود :

ـ إننى أعمل فى الدوام الصباحى ، وأنت لم تأت إلى هنا من قبل فى الصباح .. هذا لو كنت صديقه حقاً ..

ـ وما الذى تعتقدينه إذن أيتها الخبيرة النفسية ؟؟!

قلتها بالسخرية الكافية لمداراة توترى ، فألقت بقنبلتها فى وجهى :

ـ أنت هارب ..

انتفضت مذهولاً كأبلغ ما يكون الاعتراف ، وهتفت :

ـ ماذا تقولين ؟!!

ألقت بجسدها على المقعد المواجه لى ، كأننا صديقان حميمان يتبادلان الذكريات ، وقالت :

ـ لا بأس .. فأنا أيضًا هاربة ..

هتفت ودهشتى تتعاظم :

ـ هاربة من ماذا ؟؟!

ـ ليس قبل أن تخبرنى أنت أولاً ..

عدت أغرق ـ بلا أمل فى العودة ـ فى عينيها الرماديتين ، ثم انتزعت نفسى منهما بصعوبة لأقول :

ـ كفى سخفًا .. متى سيأتى الدكتور (مجدى) ؟؟

ابتسمت مدركة محاولتى الناجحة لتغيير الموضوع ، وأجابت :

ـ إنه لن يأتى ..

ـ ماذا ؟؟

دائمًا ما أكره دور الأبله الذى لا يردد سوى كلمة (ماذا ؟) ، لكن هذه المرأة لا تكف عن إلقاء الألغاز والمفاجآت فى وجهى ، كأنها عرافة فى سيرك الأحداث التى تحدث لى ..

أطفأت هى سيجارتها ، لتشعل أخرى مجيبة :

ـ إنه لن يأتى .. لقد سافر .. هذا ما يفعله دومًا بعد أن ينفذ تجربته .. ثم .. يختفى ..

ـ أى تجربة ؟؟!

ـ التنويم المغناطيسى .. ألم يجربها معك ؟!!

ـ ما الذى تعرفينه عن هذه التجربة ؟!!

قطبت (مايا) حاجبيها بضيق ، وقالت :

ـ أنا أخبرك بما تريده طيلة الوقت .. لماذا لا تخبرنى أنت ؟

صرخت منفعلاً :

ـ لا وقت لهذا العبث أجيبينى ، ما الذى تعرفينه عن هذه التجربة ؟

منحتنى (مايا) نظرة طويلة متفحصة ، ثم لم تلبث عيناها أن التمعتا ببريق ظافر ، قبل أن تقول :

ـ إنه أنت .. أنت ذلك الرجل الذى ارتكب المذبحة فى مركز الشرطة ليلة أمس .. إنهم يعرضون صورتك فى التلفاز طيلة الوقت ..

نصيحة مجانية . . أيًا كانت جودة تنكرك ، لا تجعل أحدهم يحدق فى وجهك طويلاً . .

لم يعد هناك مجال للإنكار . . لذا قلت :

ـ نعم أنا هو . . وأريد أن أفـهم مـا الذى يحـدث حولى بالضبط . .

استغرقت (مايا) فى التدخين برهة ، ثم تحدثت أخيرًا لتقول :

ـ سأساعدك بشرط واحد . .

ـ أى شرط ؟!

ـ أن تساعدنى أنا أيضًا كى أعرف . .

ـ تعرفين ماذا ؟؟!

ـ الذى فعلته أنا أيضًا . . لقد خضعت للتجربة أنا الأخرى . .

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ١,٢٢ ظهرًا

المكان : أحد المطاعم فى (مدينة نصر) ..

دعنى أحدثك مجددًا عن (مـايا) . . فى الواقع لولا أن هذه قـصـة مـا حـدث لى أنا ، لاسـتـغـرقت باقى الصفحات فى الحديث عن (مايا) محاولاً أن أنقل لك صورة ذلك المخلوق الذى أجلس معه الآن فى المطعم ، أشاهده يلتهم الطعام بشهية من لم يأكل من سنوات . . لا بد أن هذا هو سـبب نحـافتـهـا . . عدم الانـتظام فى تناول الطعام . .

أو هى المخدرات !!!

لم لا ؟! أمامى الآن نموذج مثالى لمدمنى المخدرات بتلك الهـالات السوداء حول عينيهـا ، ولـو كنت أملك وقتى لسعيت إلى إثبات هذا ، لكن فى ظروفى هذه ، فلتكن ما تكون . . المهم هو أن أفهم . .

انتظرتها حتى أنهت كل ما يصلح للأكل أمامها ، ثم قلت :

ـ والآن ؟!

أجابتنى بفم يمضغ آخر ما تبقى من الطعام :

ـ والآن أريد بعض القهوة ، وعلبة سجائر ، فسجائرى أوشكت أن تنفد . .

قلت بغيظ لم أستطع إخفاءه :

ـ أرجو أن يتوقف الأمر عند هذا الحد ، أو سأجدنى أقضى معك إجازة ترفيهية فى أوروبا قبل أن تتمكنى من الكلام . .

بجرأة ـ لا حد لها ـ أجابت :

ـ ظريف !!

ثم إنها تجشأت بلا خجل ، وأشعلت سيجارة لتغمرنى بالدخان ، قبل أن تقول :

ـ والآن أصغ لى جيدًا ، فأنا أكره أن أكرر ما أقوله . . لا تقاطعنى مهما كان السبب ، واحتفظ بأسئلتك فى عقلك حتى أنتهى . . هل هذا مفهوم ؟؟!

هززت رأسى إيجابًا ، فأطلقت هى دفعة أخرى من الدخان فى وجهى ، ثم بدأت تحكى :

ـ بدأت العمل مع الدكتور (مجدى) منذ سنتين . . لم تكن لى خبرة فى التمريض ، ولم يطلب هو واحدة

ذات خبرة ، كل ما كان يطلبه ، هو الالتزام بمواعيد العيادة ، وكل ما كنت أطلبه أنا هو المال ، وهكذا كانت الصفقة عادلة . . والتزم كلانا بهذه الصفقة لفترة طويلة ، حتى جاء ذلك اليوم الذى قرر فيه أن يشركنى فى تجاربه . .

وصلت القهوة فى تلك اللحظة ، فتوقفت عن السرد لحظة لترشف من قدحها ، ثم تابعت :

ـ بالطبع حاول أن يقنعنى بأهمية تلك التجارب ، والفائدة التى ستعود على الطب النفسى من نتائجها ، إلى آخر هذا الهراء ، لكنى أوضحت له أننى سأوافق إن عرض علىّ المبلغ المناسب ، فلم يتردد فى أن يمنحنى ما أريده . . بل ربما أكثر مما أحتاج إليه ، مما أثار قلقى فى البداية ، لكن حين بدأ تجاربه أدركت أنه مخبول ، يملك نقودًا يحب إضاعتها على تجارب بلا طائل ، أو هذا ما ظننته فى البداية !! لم أكن لأفهم فائدة تلك الأقطاب التى يوصلها برأسى ، أو التمارين العجيبة التى كنا نمارسها معًا ، ولم أكن أهتم لأفهم . . إنه

محافظ فى تعاملاته ، وملتزم فى الأمور المالية ، فلم أجد غضاضة فى المواصلة ، حتى قرر هو أن يجرب معى التنويم المغناطيسى . .

شردت عيناها الرماديتان طويلاً تسترجعان ذكرى ذلك اليوم ، فانتظرت ، حتى تنهدت لتقول :

ـ حين طلب منّى هذا الطلب شعرت بقلق غامض لست أدرى له سببًا . . وحين ضاعف لى المبلغ الذى يمنحنى إياه مقابل تجاربه ، تضاعف قلقى ، لكنى لم أرفض . . حين تقضى نصف عمرك تبحث عن أرض جافة لتنام عليها دون أن تضطر أن تقدم تضحيات خاصة ، ستدرك أنك لا تملك أحقية القبول والرفض إلا فى بضعة أشياء . . أنت تفهمنى ، أليس كذلك ؟!!

بالطبع كنت أفهمها ، وأنا الذى عملت ساعيًا فى فترة من الفترات لأتم دراستى . . لكنى هززت رأسى إيجابًا دون أن أخبرها ، فواصلت :

ـ كل ما طلبه منّى هو الاسترخاء على الفراش ، والتحديق فى شاشة الكمبيوتر . . فقط . . وهذا ما فعلته بالضبط . . أنت مررت بالتجربة وتذكر ما حدث . .

السقوط . . الضوء الذى يغمرك من كل صوب . . ثم الاستيقاظ فى مكان وزمن آخر لتكتشف أن هناك شيئًا ما (فعلته) . . شيئًا لا تعرف كيف ومتى فعلته . . والأسوأ من هذا كله أنك لا تعرف هذا الشىء . .

حدقت فيها بذهول حمل كل تساؤلاتى ، فابتسمت بمرارة قائلة :

ـ نعم . . أنا لا أعرف ما الذى فعلته بالضبط . . لقد استيقظت فى منزلى لأجدنى أرتدى ملابس غريبة . . ملابس لا أحلم بابتياعها فى هذه الحياة ، والأسوأ من هذا كله أننى عثرت فى ملابسى على هذا الكارت . .

وأخرجت من حقيبتها كارتًا أسود شديد اللمعان ناولتنى إياه ، فأخذت أتفحصه بدهشة بالغة . . فالكارت لم يكن يحمل أى شىء على سطحه !! لا أسماء . . لا رسوم . . لا نقوش . . لا شىء على الإطلاق !!

أخذت أتحسس ملمسه العجيب ، وقلت :

ـ ما هذا ؟!!

أجابتنى ساخرة :

ـ لو كنت أعرف لما كنا نجلس هنا الآن . .

أعدت إليها الكارت ، فقالت :

ـ حسنًا . . إنه وقت الأسئلة . .

أخذت أشحذ ذهنى لأحدد أسئلتى ، وجاء سؤالى الأول ليكون :

لماذا لم تسألى الدكتور (مجدى) عمّا حدث ؟؟!

ـ لأنه اختفى تمامًا بعدها . .

ـ لكنك تحملين مفتاح العيادة ، وتدخلين فى أى وقت . . لابد أنك قابلتِه صدفة بعدما حدث . .

ـ لم يكن ليخبرنى بما حدث . . لذا فضّلت أن أتجسس عليه دون أن يعلم . .

ـ وهل وصلت إلى شىء بهذا التجسس ؟؟!

ـ لا شىء عن التجربة . . لست خبيرة فى الطب النفسى أو الكمبيوتر ، ولكنى قرأت مرة عن التنويم المغناطيسى ، وعرفت شيئًا . . أنه لا يمكن لأحدهم أن يدفعك تحت تأثير التنويم المغناطيسى لفعل شىء ترفض أن تفعله وأنت مستيقظ ، ويبدو أن الدكتور (مجدى)

حطم هذه النظرية تمامًا . . المهم . . لقد حاولت على الأقل أن أعرف ما حدث لى ، إذ إن الدكتور يدوّن كل ما يفعله فى وريقات صغيرة ، ثم ينسخها فى دفتر خاص يحمله معه دومًا ، وفى أحد المرات التى فتشت فيها العيادة فى غيابه ، عثرت على وريقة تحمل اسمى واسم (مراد البحيرى) . .

هتفت بدهشة :

ـ (مراد البحيرى) . . الوزير . .

قاطعتنى (مايا) :

ـ ربما كان هو أو أى (مراد بحيرى) آخر . . الذى يهمنى الآن هو من هو هذا الرجل ، وما الذى فعلته ليربط اسمى باسمه ؟

ـ وكيف تتوقعين منّى أن أساعدك ، وأنا مطارد من قبل الجميع ؟؟!

أشعلت (مايا) سيجارتها الخامسة أو العاشرة . . لا أذكر ، ثم قالت :

ـ بإمكانك أن تحاول البحث عن الدكتور (مجدى) بلا أمل وبتنكرك البائس هذا ، حتى يلقوا القبض عليك

أو أن تساعدنى لأفهم ما هى علاقتى بـ (مراد البحيرى) ، وبالتالى علاقته بالدكتور (مجدى) ، وبالتالى أين هو ، وما علاقتك بهذا كله . . الخيار لك على كل حال . .

هذه الوغدة أجادت إلقاء الكرة فى ملعبى !!

المشكلة أن كلامها يبدو منطقيًا وخطيرًا !!

ماذا لو كانت هناك علاقة بين ما فعلته أنا والذى فعلته هى مع ذلك الـ (مراد البحيرى) ؟؟!

ماذا لو كان هناك آخرون . . (على) مثلاً ؟؟؟!!

ترى أى لعبة تلك التى يدير خيوطها (مجدى) من خلف الستار ؟؟ ولصالح من ؟؟!! وأين هو الآن ؟!!

لماذا فعل بى هذا ، وأنا صديقه ؟!!!

خرج جوابى أخيرًا ، ليبث الحيوية فى العينين الرماديتين أمامى :

ـ لنتحرك بسرعة إذن . .

ولست أدرى هل كان امتنانًا هذا الذى سمعته فى صوت (مايا) إذ قالت :

ـ أشكرك . .

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ٣,٤٢ عصرًا

المكان : منزل (مايا) ..

أكره أن أكون بهذه السخافة ، لكن لا بد لنا أن نتوقف مرة أخرى لنصف منزل (مايا) . . أو فلنقل ذلك الجحر الذى تسكن فيه . .

غرفة صغيرة تحت الأرض ، لا تعرف للهواء أو الضوء مدخلاً ، ولا تحمل أى لمسة أنثوية تذكر ، بل تكاد تبدو مهجورة مع الكم الهائل من الأتربة التى تغطى كل شىء ، حتى الأريكة التى يبدو أنها تقوم بوظيفة الفراش فى هذا المكان البائس . .

المثير للسخرية حقًا ذلك الأصيص من الورود الذابلة التى تعلن عن محاولة خرقاء لإضفاء بعض البهجة على ذلك المكان الشبيه بالقبر . .

لقد عانيت من الفقر فى صغرى ، لكن ما أراه هنا الآن هو الإهمال مجسمًا فى كل قطعة أثاث ملقاة فى هذه المساحة الضيقة !!

وكانت أعقاب السجائر فى كل مكان ، لتمتزج رائحة الرطوبة برائحة الرماد ، فلم أملك نفسى من أن أقول :

ـ اسمحى لى .. لكن ، كيف تحتملين العيش هنا ؟!!

أجابتنى ساخرة :

ـ حاولت الحصول على غرفة فى الشيراتون ، لكن جميع الغرف محجوزة هذه الفترة .. آسفة .

أجبت :

ـ لم أعرف امرأة من قبل تطيق العيش فى مثل هذه الفوضى ..

قالت بحزم لا مبرر له :

ـ إن كنت تتوقع أننى سأرتب لك هذا المكان ، أو أن أعد لك طعام العشاء كل ليلة ، فاسمح لى أن أحطم أحلامك هذه .. أنت هنا للاختباء مؤقتًا ، لا للحصول على زوجة بديلة ..

ـ إذن فأنا أفضل النوم فى الزنزانة ..

ثم تنبهت إلى نقطة مهمة ، فقلت :

ـ ثم كيف ستحتوينا هذه الغرفة نحن الاثنين ؟؟! أعنى .. أعتقد ..

منحتنى نظرة قاتلة ، مجيبة :

ـ أتظن أننا سنعيش معًا هنا ؟؟ أنت ستقيم هنا .. أنا سأقضى الليل فى عيادة الدكتور (مجدى) كما اعتدت أن أفعل .. وبالمناسبة ، هذه القصة لن تنتهى إلا بموتنا أو انتهاء المشكلة .. لا مجال للقصص الرومانسية أو النهايات الخرقاء بأن نتزوج بعد أن نقع فى غرام بعضنا .. هل هذا مفهوم ؟!!

كدت أصارحها برأيى عن فرص أن نقع فى غرام بعضنا ، وكيف أنها ذات فرص أن تعلن إسرائيل عن أسفها العميق لما حدث قبل أن تقرر مغادرة فلسطين بلا رجعة ، لكنى ـ وبدلاً من هذا ـ قلت :

ـ أعتقد أن أول ما علينا فعله هو التحقق من شخصية (مراد البحيرى) ..

ـ هل تشك فى أنه الوزير السابق ؟؟!

أجبتها مفكرًا :

ـ لا يمكننى الجزم بشىء .. إننا غارقان فى الحيرة تمامًا .. أعتقد أن السؤال الحقيقى هو هدف (مجدى) من هذا كله ..

بالطبع أشعلت (مايا) سيجارة أخرى كأنها تحارب من أجل حقها الطبيعى للإصابة بالسرطان ، قبل أن تقول :

ـ أعتقد أنه أنت من يستطيع إجابة هذا السؤال . .

ـ كيف ؟؟!

ـ لا بد أن ما يحدث له علاقة بمن قتلتهم فى مركز الشرطة . . ألم تعرف من هم ؟؟!

ومضت صورة الجثث المكوَّمة الغارقة فى الدماء فى رأسى ، فداهمنى ذلك الشعور بالرغبة فى التقيؤ مجدداً ، إلا أننى تماسكت محاولاً تذكر أى شىء . .

ما تقوله (مايا) منطقى تماماً . .

بالتأكيد هناك علاقة بين من قتلتهم ـ لو كنت أنا من فعلها حقًا ، فمازال لدى أمل أنه ليس أنا ـ وبين ما يحدث الآن . .

وهذا يعنى ـ وببساطة ـ أن (مجدى) يتبع مخططًا خاصًا لا يعرف أحد تفاصيله سواه ، وهذا هو آخر ما يمكن أن أتوقعه من آلة تنفيذ القوانين (مجدى) . .

هل جربت أن تكتشف أصدقاءك لأول مرة ؟!! من الأفضل ألا تفعل !!!

استغرقت فى التفكير ، فاستغرقت (مايا) فى التدخين ، ثم جاء صوتى أخيراً مختنقًا من كثرة الدخان :

ـ يجب ألا نضيع الوقت فى التفكير . . سنتحرك بضع تحركات عشوائية فى الأول ، حتى نتعرف على حدود الأرض التى نقف عليها . . ولتوفير الوقت سيتحرك كل منّا فى اتجاه . . أنت ستذهبين إلى منزل الوزير السابق (مراد البحيرى) ، وستطلبين مقابلته لتعرضى عليه ذلك الكارت الأسود ، ولو كان هو صاحب الاسم فى الورقة فسنعرف . . على الأقل سنستبعده لو لم يكن هو . . أما أنا فسأسعى لمعرفة من قتلتهم فى مركز الشرطة ، المهم أن نتقابل هنا مجدداً السابعة مساءً وأيًا كانت الأسباب . .

أطرقت (مايا) برهة لتفكر فيما قلته ، ثم قالت أخيراً :

ـ لكنى قد أعرض نفسى للمخاطرة بالذهاب إلى منزل (مراد البحيرى) لو كان هو المقصود . .

أجبتها :

- لا أعتقد هذا .. لو أرادوا بك السوء ، لتخلصوا منك منذ زمن .. كما أنه لن يحاول إيذاءك فى منزله المهم أن تتمالكى نفسك وألا تخبريه عن أى شىء ..

مطت شفتيها ، وبدا من الواضح أن منطقى لم يقنعها ، إلا أنها قالت فى النهاية :

- حسنًا .. المهم ألا يلقوا القبض عليك أنت .. فمازلت بحاجة لمساعدتك ..

بالطبع لم أشغل بالى بالتفكير بالطريقة التى تظن بها هذه المرأة أننى قادر بها على مساعدتها .. الواقع أننى من يحتاج لمساعدتها الآن ..

حملت حقيبتها فجأة ، لتقول :

- حسنًا .. سأذهب الآن ..

تذكرتُ شيئًا ما فجأة ، فاستوقفتها هاتفًا :

- (مايا) .. هل تزورك أحلام غريبة بعد التجربة ؟!!

هاجت عواصف وماجت بحور فى العينين الرماديتين ، إلا أن صوتها خرج لامباليًا كعادته :

- نعم .. حاول أن تعتادها ..

ودون أن تضيف غادرت المكان ..

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ٥,١٢ عصرًا

آخر مكان من المفترض أن أذهب إليه !! ..

حدثتك كثيرًا عن (مايا) ، لذا لن يضيرك أن نتحدث قليلاً عن (مدحت) ..

كنا قد اتفقنا منذ بضع صفحات على أنه (أسمر .. وغد .. قصير .. قبيح .. غنى .. شجاع .. لم يدخل كلية الشرطة إلا ليجد مبررًا لحمل السلاح ، وإشهاره فى وجوه الناس بتلك الصورة السينمائية التى يتقنها ، والتى جعلته دومًا موضع سخرية منّى !!) إلا أنه يتمتع بعيب آخر مهم ، وهو أنه نمطى إلى أقصى حد ..

يستيقظ كل صباح فى تمام الثامنة ، ليبدأ فى تصفح الجرائد ، على أمل أن يرى صورته فى الصفحة الأولى ذات يوم ، ثم يتناول إفطارًا خفيفًا ليذهب إلى المركز ، حيث يمكنه ممارسة هوايته فى ركل مؤخرات الأوغاد ، ليعود إلى منزله فى الثالثة ليتناول غداءه ، ثم يسلم نفسه لنوم القيلولة ، ليستيقظ ليعود للعمل .. للمنزل .. للنوم .. ليوم جديد يحمل ذات الرتابة ..

لا عـجب إذن أنه لم يتـزوج .. فـمن هذه التى سترضى بآلة الروتين هذه ؟؟!!

لماذا ذهبت إلى منزله إذن ، رغم يقينى أنه لن يهدأ له بال حتى يلقى القبض علىَّ ؟؟! ببساطة لأنه الوحيد الذى يمكنه أن يمدنى بالمعلومات التى أحتاج إليها ، حتى لو لم أحصل عليها بالطرق التقليدية .. لا أعنى أننى سأستخدم معه نزع الأظفار ، لكن التهديد النفسى أكثر فاعلية مع من هم مثل (مدحت) ..

بلغت منزله بسيارة أجرة ، ثم صعدت بثقة معتمدًا على تنكرى البائس ، كما تسميه (مايا) ، ثم عالجت قفل شقته لأدخلها ، وهو أمر لا يحتاج لمهارات خاصة لا تتوافر لرجل شرطة مثلى .. وهى تفاصيل سخيفة كما ترى ، لكن البعض يصر على معرفتها !!

المهم أننى أقف الآن أمام فراشه ، أنصت إلى شخيره ، مسددًا إليه مسدسى ، لألتقط نفسًا عميقًا ، ثم ..

« (مدحت) .. هيا استيقظ .. هيا لست والدتك » .

تململ (مدحت) فى فراشه ، فهززته بيدى الحرة ، ليفتح عينين ناعستين ، أخذ يرمقنى بهما بلا فهم ، ثم لم يلبث أن اعتدل فجأة ، ليطالعنى بعينين محمرتين ، وشعر أشعث ونظرة بلهاء .. من حسن حظ النساء حقًا ، أن إحداهن لم تتزوجه !! وكان أول ما قاله :

ـ أنت .. كيف ؟؟! أين ؟! ما ؟!

ثم لم يلبث أن استجمع أفكاره ليصرخ بمزيج من الدهشة والغضب :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟؟!!

أجبته ببساطة ، وأنا أجلس على الأريكة المجاورة لفراشه ، مسددًا مسدسى لوجهه كإنذار صريح :

ـ تسللت بالطبع .. وتكفل صوت شخيرك بالتغطية علىَّ ..

جاء سؤاله الثانى :

ـ ما الذى تفعله هنا ؟؟!!

أجبته بصرامة لا تحتمل النقاش :

ـ جئت للحصول على بعض المعلومات ..

هتف بوطنية لا مبرر لها :

ـ لن أنطق بحرف قد يهدد أمن مصر و . .

قاطعته بملل :

ـ كف عن هذا السخف . . لسنا فى أحد أفلام المخابرات ، كل ما أريد معرفته هو من الذين قتلتهم فى المركز تلك الليلة ؟؟

عاد يكرر بإصرار :

ـ لن أنطق بحرف . . أنا أعرف أنك لن تطلق النار علىَّ . .

ثم انتبه إلى مغزى سؤالى ، ليهتف :

ـ مهلاً . . ألا تعرف من الذين قتلتهم فى المركز ؟؟!! أى سخف هذا ؟؟!!

أجبته بنفاد صبر :

ـ لو كنت أشك فى وجود ذرة عقل لديك ، لشرحت لك . . لكن الأمر يفوق قدرتك على الفهم بمراحل . . دعك بالطبع من رغبتك الدفينة للتخلص منى . .

همهم بشىء ما لم أتبينه ، فعدت أكرر سؤالى ملوحاً بالمسدس فى وجهه :

ـ والآن . . من هم الذين قتلتهم فى مركز الشرطة ؟؟ وما الذى حدث بالضبط فى تلك الليلة ؟؟

عقد (مدحت) ساعديه أمام صدره كالأطفال ليقول :

ـ لن تحصل منّى على شىء . . اقتلنى لو أردت . .

ابتسمت فى جذل حقيقى . يكفى ليبث الرعب فى قلبه ، وقلت :

ـ من تحدث عن القتل ؟؟ بإمكانى أن أطلق النار على ركبتيك لتمضى ما تبقى لك من حياتك الغبية مقعداً . . أنت تفهمنى أليس كذلك ؟؟ لن تكون هناك مطاردات ولا بطولات ، ولا شىء من هذا القبيل . . مجرد أيام بائسة تحدق فيها فى وسام التقدير الذى سيمنحونك إياه قبل عزلك من عملك . . ستكون بطولتك الوحيدة ، هى اعتياد الكرسى المتحرك . .

لاح الهلع على وجهه ، إلا أنه قرر أن يجرب حظه ، فقال :

ـ إنك لن تفعلها . . لن تجرؤ . .

هززت رأسى بأسف مصطنع ، ثم قلت بصرامة :

- امنحنى ظهرك لو سمحت . .

صرخ :

- لماذا ؟؟!!

- لن تحب مشهد ركبتيك المنسوفتين ، لذا سأطلق النار عليك من الخلف . . هيا استدر . . لن أقضى يومى هنا . .

ارتجف (مدحت) بحق ، لينهار ذلك الغلاف الهش الذى يحيط به نفسه ، وليبدو على حقيقته تماماً . .

أعترف أننى لم أحب هذا المشهد ، ولا هذه السادية التى استخدمتها معه . . لكنها الضرورة . .

وحين تحدث مجدداً ، كان سيل المعلومات المنهمر من فمه يحتاج لجهاز تسجيل ، لكنى حاولت الاحتفاظ فى ذاكرتى بالشق المهم . .

كان يقول :

- لقد دخلت المركز تلك الليلة ، وأنت تقتاد أمامك الصحفى (باهر حسين) وزوجته وطفليه . . لم يعترض أحد طريقك وأنت تسدد بندقية آلية إلى رءوسهم . .

حاولنا إيقافك بالحديث لكنك لم تصغ إلى أحد . . بل لم يبد أنك تسمع أساساً . . قدتهم إلى غرفة الاجتماعات ومنعت أحداً من الدخول ، ومنعت من كانوا فى الداخل من الخروج . . لقد كنت تتصرف بجنون تام . . تماماً كما كنت أتوقع منك . . وحين سمعنا صوت الطلقات وصراخ من كانوا معك أدركنا أنك فعلتها . . لقد قتلت الصحفى وزوجته وطفليه بلا رحمة . . لقد كانت مذبحة حقيقية حتى إن الطبيب الشرعى لم يستطع تمييز ملامح الـ . .

قاطعته صارخاً بغثيان كدت أفرغ معه ما فى معدتى فى وجهه :

- كفى . . كفى . .

مستحيل . . مستحيل . . مستحيل . .

إذن فأنا الذى فعلتها حقاً !!

أنا قاتل . . قاتل لا يعرف الرحمة !!

أنا . . قتلت . . طفلين . . يا إلهى !! . . أرجوك يا إلهى أمتنى الآن ، لم تعد لى رغبة فى الحياة !! كنت مصدوماً . . مصعوقاً . . مقتولاً بسكين غرزها (مدحت) بكلماته . .

ما الفائدة إذن ؟!

حتى لو استطعت أن أفهم ما الذى حدث بالضبط فسأظل قاتلاً . .

حتى لو أثبت براءتى . . حتى لو تفهَّم الكلُّ حقيقة ما يحدث وحدث وسيحدث . . ستظل صورة الطفلين تطاردنى ما بقيت حيًا . .

هل جربت يومًا أن تتمنى الموت فلا يأتى إليك ؟! أنا جربت هذا الشعور كثيرًا . . أدمنته فى الواقع !!

أول مرة قتلت فيها مجرمًا فى مطاردة ، كدت أن أموت هلعًا . . أنا انتزعت ذلك الرجل من سجل الأحياء بضغطة زناد واحدة !! أنا أنقصت عدد البشرية واحدًا . . والآن أنا قاتل وحشى قتل عائلة كاملة !!

لكم أتمنى لو يفاجئنى (مدحت) بانقضاضة موفقة علىّ ، لينتزع المسدس من يدى ليفرغه فى صدرى ، وسأظل له مدينًا ما بقيت فى الجحيم !!

لكن (مدحت) الآن يبدو كطفل يكاد يبلل سرواله هلعًا ، لا يكاد يجرؤ على النطق بحرف واحد . .

وخرج صوتى بطيئًا ثقيلاً كالحشرجة يقول :

ـ سأخرج الآن ، وأغلق الباب خلفى . . وسأنتظر قليلاً فى الردهة ، لو خرجت ، فسأقتلك بلا تفكير . . أتفهم ؟!

هزَّ رأسه إيجابًا ، وهو يكاد يبكى ، فنهضت ببطء من مجلسى لأغادر المكان . .

لن يسعى خلفى الآن . . ليس ، وهو فى هذه الحالة . .

لذا غادرت المكان كله ، وأنا عاجز عن التفكير . .

الدافع الوحيد الذى يحركنى الآن هو الانتقام . .

الانتقام لى وللطفلين اللذين لن أعرفهما أبدًا !!

سيدفع الجميع الثمن . . أقسم على هذا . .

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ٥,٢٤ عصراً
حيث ذهبت (مايا) وكما عرفت فيما بعد !!

لخمس دقائق أو أكثر ، أخذ مسئول الأمن فى ڤيلا الوزير السابق (مراد البحيرى) يحدق فى (مايا) ، كأنه يشاهد مخلوقًا فضائيًا ، تمتد الخراطيم من جسده !

لا يمكننا أن نلومه كثيراً .. فـ (مايا) جديرة بأن تمنحها ساعات طويلة من فضولك ، وفى حياتى بعد هذا لم أجد من يشابهها إلا الممثلة الأمريكية العجيبة (جوليت لويس) التى يكفى أن تشاهد لها فيلم Natural Born Killer للمخرج العبقرى (أوليفر ستون) لتفهم عن ماذا أتحدث بالضبط ..

وبعد الذهول والاستغراب تساءل مسئول الأمن :

ـ ولماذا ترغبين فى مقابلة السيد (مراد) ؟!

أجابته (مايا) ببساطة مدهشة :

ـ أخبره أننى أريده فى أمر شخصى شديد الأهمية ..

ـ وما هو هذا الأمر بالضبط ؟!

ـ أجابته (مايا) ببرود مستفز :

ـ قلت لك إنه أمر شخصى للغاية ..

منحها مسئول الأمن نظرة متشككة ، ثم قال أخيراً :

ـ انتظرى هنا ..

وتركها فى رفقة أحد رجال الأمن ليختفى داخل الفيلا ، ليعود بعد عشر دقائق ، قائلاً :

ـ اتبعينى من فضلك ..

تبعته (مايا) إلى داخل الفيلا ، وعيناها ترصدان كل تفصيلة حولها ، علّها تتذكر شيئًا ، مقاومة ذلك الشعور بالازدراء من كل مظاهر البذخ المحيطة بها .. أنت تفهم هذا الازدراء الذى يصيبنا تجاه أشياء ندرك استحالة الحصول عليها !!

بلغا غرفة مكتب الوزير ، فتوقف مسئول الأمن عند هذا الحد ليقول :

ـ تفضلى بالدخول ..

هزّت (مايا) رأسها بأرستقراطية مضحكة ، ثم دخلت غرفة المكتب ، لتبدأ مواجهتها ..

لقد كانت خائفة .. خائفة لسبب مجهول .. لكنها حاولت مداراة هذا الخوف بالتظاهر باللامبالاة ..

كهل هو (مراد البحيرى) . . وجه يكتظ بالتجاعيد وكل ندوب الزمن وخطاياه . . ونظرة عميقة تجمع بين الهدوء والخبرة والسأم . . وجسد كان رياضيًا فى يوم ما ، مما منحه طابعًا آدميًا لا بأس به . .

وحين تحدث ، خرج صوته هادئًا وقورًا يقول :

ـ تفضلى يا ابنتى . . اجلسى . .

جلست (مايا) أمامه كالمأخوذة ، وهى تحدق فى وجه الرجل محاولة مطابقة صورته بجميع الصور التى تحتفظ بها فى ذاكرتها البائسة . .

هل هو (مراد البحيرى) أم لا ؟! لا سبيل لمعرفة هذا . .

والآن . .

تحدث (مراد) ليقول :

ـ كيف يمكننى أن أخدمك ؟!

أخرجت (مايا) علبة سجائرها ، وهمّت بإشعال سيجارة ، لولا أن استوقفها (مراد) بإشارة من يده ليقول :

ـ ممنوع التدخين هنا يا آنستى . .

أعادت (مايا) العلبة لحقيبتها بضيق واضح ، ثم قالت :

ـ على كل حال لست هنا للتدخين . . ما أريده الآن هو رد على سؤال واحد . .

ثم إنها أخرجت البطاقة السوداء من حقيبتها لتناوله إياها ، ثم سألت :

ـ هل رأيت هذه البطاقة من قبل ؟!

تناول (مراد) البطاقة منها ببساطة ، وقلبها بين أصابعه لحظة ، قبل أن يعيدها إليها مجيبًا :

ـ لا . . لماذا ؟!

ـ عثرت عليها ملقاة أمام باب منزلى مع ورقة تحمل اسمك . .

كذبة ساذجة ، لكن لا بأس بها !!

ـ أهذا ما جئت من أجله ؟!

سألها (مراد) فى شك واضح ، فأجابت محافظة على هدوئها :

ـ نعم . . ظننت أنها تخصك . .

تضاعف الشك فى عينى (مراد) ، لكنه لم يملك إلا أن يقول :

- ماذا تشربين ؟؟

وصلتها رسالته التى تطالبها بالانصراف ، فقالت وهى تقف :

- لا شىء .. أشكرك .. يجب أن أنصرف الآن ..

هزّ (مراد) رأسه بالإيجاب ، وصاحبها بنظراته المتشككة ، حتى غادرت الغرفة .. انتظر لحظة ، ثم رفع سماعة الهاتف على مكتبه وطلب رقمًا محددًا ..

ولم ينطق سوى بكلمة واحدة لمحدثه :

- نفذ ..

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ٥,٤٧ عصرًا كما ذكر فى السجلات فيما بعد !!

تحرك ذلك الأنيق ذو الملابس السوداء والنظارة السوداء ـ كأى رجل يودّ أن يبدو غامضًا ـ بهدوء مستفز ، كأنه يصور مشهدًا فى فيلم سينمائى ..

توقف أمام أحد المبانى ، ثم رفع عينيه كأنما يتأكد من أنه المبنى الصحيح ، ثم دخل .. خطواته هادئة ملامحه جامدة .. الانتفاخ أسفل ملابسه يشى بمسدس ضخم ، يبدو أنه يجيد استخدامه ..

هذا الرجل لم يأت إلى هنا لمجرد الزيارة ، ويبدو أنه من النوعية التى تكره إضاعة الوقت ، فهو لم يحاول فتح باب تلك الشقة بالطرق التقليدية أو غير التقليدية ، بل سدد لرتاجه ركلة محكمةِ جعلته ينفتح مرحبًا ..

المبنى مهجور تقريبًا ؛ لذا لن يتوقع أن يزعجه أحد فى الساعات القليلة القادمة ..

الآن يضع الحقيبة التى يحملها على منضدة احتشد على سطحها الغبار كدليل على عدم لمسها منذ زمن ، ثم يفتحها ليخرج تلك البندقية . .

لا . . لم تكن بندقية قناصة عادية ، بل تلك الحديثة القادرة على تقديم أداء يليق بمدفع رشاش مطوّر ومزودة بأداة توجيه بالليزر ، وكاتم للصوت خاص . .

تحفه فنيّة لو جاز لنا قول هذا . . سلاح تودّ تجربته ما لم تكن أنت المستهدف به !!

الآن نرى الرجل الأنيق الهادئ ، يسدد مدفعه من النافذة ، لينظر عبر العدسة المقربة إلى هدفه . .

إلى تلك الشقة المتواضعة ، التى تليق بوصفها جحر أكثر منها إلى شقة تصلح للعيش . .

شقة نعرفها جيدًا ، لأننا كنّا داخلها منذ قليل . .

شقة (مايا) !!

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة السابعة مساءً

المكان : شقة (مايا) . .

الآن أعود لأستكمل معكم أحداث قصتى ، ولأخبركم كيف حدث ما حدث . .

كانت الفكرة الوحيدة التى تسيطر علىّ طيلة الوقت هى الانتقام . . الانتقام من الجميع ، ولكن كيف ؟!

أنا لا أعرف مكان ذلك الوغد (مجدى) ، ولا الهدف الذى استفاده من قتلى للصحفى (باهر حسين) وعائلته ، ولا علاقة تلك المسكينة (مايا) بتلك المأساة التى ألعب دور البطولة فيها رغمًا عنى . .

الشىء الوحيد الذى أشعر به يقينًا أن اللعبة أكبر مما تبدو بكثير . .

ثمة تفسير لكل ما يحدث ، ولو صدق ظنى فالتفسير أسوأ مما حدث حتى الآن بمراحل . . لكنى مستعد لتقبله على كل حال ، فقط لو تكرّم أحدهم علىّ ليشرح لى ما يحدث !!

كنت قد وصلت للشقة على الفور ، ولم تكن (مايا) هنا لذا شعرت بالقلق . .

لماذا تأخرت هذه الحمقاء ؟!

هل تحققت مخاوفها ، واتضح أن للوزير السابق (مراد البحيرى) علاقة بما يحدث ؟!

لو كان هذا صحيحًا لاتخذت الأحداث القادمة أبعادًا أشك فى قدرتى على مواجهتها .. (مراد البحيرى) كان وزير الداخلية إن لم تكن تعرف ، وهذا يعنى أن الرجل لا يزال يملك نفوذًا لا داعى لاستخدامه ضدى فى هذه الظروف على الإطلاق !!

دخلت (مايا) فجأة ، والسيجارة الأثيرة تتدلى من بين شفتيها ، وذلك الهدوء المستفز على ملامحها ، فصرخت فيها لأفرغ جزءًا من انفعالى :

ـ لماذا تأخرت ؟!

جاءنى ردها منطقيًا مستفزًا :

ـ المواصلات .. لا أملك نقودًا لأذهب وأعود بسيارة أجرة ..

كيف فاتنى هذا ؟؟ كان يجب أن أمنحها نقودًا لكن يجب أن أفعل هذا دون أن أثير حفيظتها ..

قلت مبررًا انفعالى :

ـ لقد قلقت كثيرًا ..

قلتها ، ثم ندمت خشية أن تسىء فهمى ، لكنها أجابت :

ـ لا تقلق .. على الأرجح ليس هو المقصود ..

ـ كيف عرفت ؟!

ـ عرضت عليه البطاقة فلم يتعرف عليها ، ولم يحاول إيقافى ..

ـ وتجدين هذا طبيعيًا ؟!

أجابتنى ساخرة :

ـ وما الذى كنت تتوقعه ؟! أن يسقط بذبحة صدرية حين يرى البطاقة ؟!

ـ لا .. ولكن أن يمر الأمر بهذه البساطة ؟! .. ألم يحاول حتى التحقق من شخصيتك ؟؟

أجابت :

ـ هل تقصد أنه أرسل من يراقبنى ؟؟ لا أعتقد هذا .. لقد ظننى مخبولة على الأرجح ..

وجدتها فرصة لرد سخريتها فقلت :

ـ لم يخطئ فى هذا كثيراً ..

لكنها لم تتوقف عند سخريتى ، بل قالت :

ـ المشكلة أن أمامنا الآن آلاف (مراد البحيرى) ، قد يكون أى واحد منهم هو المقصود .. لا أخفى عليك رغم خوفى من الاحتمال كنت أفضل أن يكون ذلك الوزير هو المقصود .. على الأقل كنا سنعرف من .. على كل حال ، ماذا عنك ؟؟ هل عرفت من الذين قتلتهم ؟!

رويت لها ما حدث باختصار ، فلم تبد تأثراً .. قد أكون قد قتلت طفلين بالنسبة لها ، لكنها ربما تكون قد فعلت ما هو أسوأ ، لكنها لا تعرف ..

وحين انتهيت منحتنى ملاحظة ذكية لم أنتبه لها من قبل :

ـ لكن قتل ذلك الصحفى ، وعائلته ، لم يستغرق سوى تلك الليلة ، فماذا عن باقى الأسبوع إذن ؟!

هززت كتفى بمعنى أننى لا أعرف ، فقالت :

ـ يجب أن تعرف .. ربما كان ، هناك آخرون قد قتلتهم دون أن تعرف ..

هالتنى الفكرة إلى درجة الشحوب ، فهتفت :

ـ وكيف لى أن أعرف ؟!

أجابتنى :

ـ بأن تجد وسيلة للعثور على الدكتور (مجدى) ..

كررت سؤالى :

ـ كيف ؟!

أطفأت سيجارتها لتشعل أخرى ، وقالت :

ـ بأن ندفعه للظهور .. لا توجد وسيلة أخرى .. وأعتقد أن لدى اقتراحاً فى هذا الصدد .. أنت تعرف بالتأكيد أنه سيضطر للعودة إلى عيادته .. شىء ما يجذبه إلى هناك ، بدليل أنه عاد إليها بعد أن نفذ تجربته معى ، دون أن أستطيع مفاجأته هناك للأسف .. السؤال الآن ما الذى سيحدث لو أننا قطعنا عليه خط الرجعة ؟؟

قلت متشككاً :

ـ ما الذى تقصدينه بالضبط ؟!

- سنذهب إلى هناك لنسرق كل ما نجده أمامنا .. لكن يجب أن نفتش المكان أولاً بحرص شديد ، لربما كان الشيء الذى يعيده للعيادة مخفيًا فى مكان ما داخلها .. بالمناسبة .. هل تجيد استخدام الكمبيوتر ؟؟

هززت رأسى نفيًا ، فقالت بأسف :

- خسارة .. لا بد أنه يحتفظ ببياناته على هذا الجهاز .. على الأقل البرنامج الذى يستخدمه للتنويم .. لقد حاولت استخدامه ذات مرة لكنه يضع كلمة سر على الجهاز تمنع أى أحد من الاطلاع على ملفاته ..

قطبت مفكرًا فى هذه المشكلة ، ثم جاء الحل فى ذهنى بغتة :

- لا بأس .. نستطيع أن نسرق القرص الصلب من الجهاز ، ثم سأستعين بأحد أصدقائى الذين يجيدون القرصنة وهذه الأشياء التى لا أفهمها ؛ لاستخراج الملفات من عليه ..

تحمست (مايا) لفكرتى ، فهتفت :

- عظيم .. والآن هيا بنا لنتحرك ..

لكنى استوقفتها قائلاً :

- (مايا) .. يجب ألا نسعى خلف هذا الأمل متجاهلين الخيط الحقيقى الذى نمسك به بين أصابعنا ..

تساءلت (مايا) :

- أى خيط ؟؟

- (باهر حسين) .. الصحفى الذى قتلته .. لا بد أن هناك سببًا ما ليدفعنى (مجدى) لقتله .. أعنى فلنرتب الكروت التى حصلنا عليها الآن .. لدينا صحفى قتيل ، وطبيب هارب ، ووزير سابق .. ما العلاقة التى قد تربط بين الثلاثة ؟!

أجابت (مايا) بملل :

- هل تقصد تجارب سرية تتعلق بالوزير ، ويستعين فيها بالدكتور ، وحين يكتشف ذلك الصحفى تجاربهما يسعيان للتخلص منه ؟؟ يبدو أنك من هواة الأفلام البوليسية !!

ابتسمت لهذا التفسير الساذج ، وقلت :

ـ لو كانت هذه قصص الأفلام البوليسية ، فأحمد الله أننى لا أهوى مشاهدتها .. على كل حال لا ، لدى تفسير آخر .. تفسير أكثر واقعية .. أولاً : لنستثنى الوزير السابق ، فلا يوجد ما يؤكد صلته بالأحداث ، أو أن هذا ما أتمناه .. يتبقى لنا الطبيب والصحفى .. هناك ثلاثة أسباب قد تجعل (مجدى) يدفعنى لقتل الصحفى : الانتقام .. التخلص منّى بقتل أحد المشاهير بهذه الصورة ، وهذا يعنى أن الغرض الحقيقى من تنويمى مغناطيسيًا ليس قتل الصحفى .. أو أنه ـ أقصد (مجدى) ـ يعمل لجهة ما وهى التى كلفته بالتخلص من الصحفى باستخدامى ..

انتهيت من طرح أفكارى ، فوقفت ألهث ، بينما قلّبت (مايا) الأمر كله فى ذهنها ، ثم مطّت شفتيها بعدم رضا ، لتقول :

ـ عظيم .. إذن فلقد عقدت الأمر أكثر مما كان .. والآن كيف لنا أن نعرف أى هذه الاحتمالات هو الصحيح ؟!

ـ احتمال الانتقام يبدو أسخف من أن يبذل له (مجدى) كل هذا المجهود ، كما أنه لا يبرر تنويمك أنت أيضًا .. أعتقد أن أحد الاحتمالين الآخرين هو الصحيح .. وهذا يتوقف على أن أعرف ما الذى فعلته طيلة الأسبوع الذى نوّمنى فيه (مجدى) مغناطيسيًا ..

تثاءبت (مايا) بإرهاق ، وقالت :

ـ لا سبيل لتعرف ما الذى حدث لك طيلة هذا الأسبوع إلا من (مجدى) ذاته .. وفكرة الجهة التى يعمل لحسابها أكثر سذاجة من اللازم .. ما الذى سنفعله إذن ؟!

أجبتها فى غموض :

ـ هناك وسيلة واحدة لمعرفة ما الذى فعلته طيلة ذلك الأسبوع ..

سألتنى (مايا) بلهفة :

ـ ما هى ؟!

كدت أجيبها لولا أن انطلقت الرصاصات بغتة ، لتهشم زجاج النافذة !!

☆ ☆ ☆

السبت ٢٦ / ٥ الساعة ٧,٤٩ مساءً

المكان : شقة (مايا) التى تحولت إلى جحيم !!

حين انطلقت الرصاصات لم أنتبه لكونها خرجت من مدفع كاتم للصوت ، أو للغزارة غير المسبوقة التى أخذت تنهال بها علينا .. كل ما فكّرت فيه هو إبعاد (مايا) من مرمى الرصاصات ..

قفزت - كما درّبونا جيداً فى كلية الشرطة - لأحيط (مايا) المذهولة بذراعى ، ولألقى بها أرضاً بعيداً عن النافذة ، التى انهمر منها سيل الموت بلا صوت ..

وحين تمكنت أخيراً من الصراخ ، صرخت (مايا) :

- ما الذى يحدث ؟!

أجبتها ، وأنا أبقيها منبطحة :

- فرصتنا الوحيدة لنفهم ..

وقبل أن تفهم ما أعنيه ، كنت أصرخ فيها :

- لا تتحركى من مكانك هذا أيًا كان السبب ..

ثم تحركت فجأة مستعيداً كل ما درّبونا عليه للتصرف فى مثل هذه المواقف .. حمداً لله أننى احتفظت بمسدس (مدحت) معى !!

أطلقت رصاصتين عشوائيتين على النافذة للتمويه ، وأخرى على المصباح الوحيد ، فساد الظلام تصاحبه صرخات (مايا) المذعورة ..

ولست أعرف كيف حدث ما حدث ، لكن لو قام كاتب سيناريو محترف بتحويل قصتى هذه إلى فيلم فى يوم ما ، أعتقد أن المشاهد التالية ستكون كالآتى ..

ليل داخلى .. أنا أقفز قفزة لو رآها مدربنا أيام كلية الشرطة لصرخ طرباً ، قبل أن أسقط أمام الباب لأفتحه بحركة سريعة .. قطع ..

ليل داخلى .. أنا أصعد الدرج الذى يقود لسطح الأرض عدواً ، والرصاصات الكاتمة للصوت تحدث ثقوباً فى الجدران من خلفى ، لتتطاير الحجارة والرمال .. بالطبع صراخ (مايا) هو الخلفية لهذا المشهد .. قطع ..

ليل خارجى .. أنا أعدو كالمجنون تجاه البناية التى تأتى منها الرصاصات ، والرمال تتفجر تحت أقدامى من الرصاصات .. أنا لا أشعر بشىء سوى بالرغبة فى الوصول للبناية .. قطع ..

ليل داخلى .. أنا أقفز على الدرج داخل البناية جاذبًا زناد مسدسى ، متجهًا إلى الشقة التى يطلق منها القاتل رصاصاته .. أنا ألهث بعنف ، لكن لا أملك لحظة للتوقف واسترداد أنفاسى ..

ليل داخلى .. أنا أركل باب تلك الشقة ، وأقفز إلى أحد الأركان مسددًا مسدسى فى كل اتجاه .. حسنًا .. أيًا كانت التمارين الى حظينا بها فى كلية الشرطة ، لكن اللياقة التى أتمتع بها الآن عجيبة حقًا .. إما أنه الخطر ، أو أن هناك الكثير حقًا مما فعلته ذلك الأسبوع دون أن أعرف .. لندع هذا فى وقته .. قطع ..

ليل داخلى .. القاتل يلتفت لى بمدفعه ، فلا أنتظر شيئًا لأضغط الزناد .. إنها تلك اللحظة الرهيبة التى تعنى شيئًا من اثنين .. حياتى ، أو حياته .. صوت رصاصاتى يمتزج بصوت رصاصاته المكتوم ، وأشياء

تتهشم وأشياء تتناثر ، ثم يسقط جسد القاتل ، ليسود الصمت بغته .. قطع !

الآن أنا ألهث بعنف ، متحسسًا جسدى بيد مرتعشة ، بحثًا عن ثقوب غير موجودة !!

لقد نجوت !! فارق الثانية انتهى لصالحى !!

أقف بصعوبة لأنفض الغبار من على ملابسى ، ثم اقترب ببطء حذر من جثة القاتل الذى سقط على وجهه دون حراك ، وبركة من دمائه تتكون أسفله بثقة !!

بيمناى أسدد المسدس له ، تحسبًا لأى حركة مفاجئة ، وبيسراى أمد يدى لأقلبه على ظهره بحركة سريعة ..

لو ملكت أنفاسى الآن لصرخت .. مستحيل !!

مستحيل .. مستحيل .. مستحيل !!

ألف مستحيل !!

الرجل الأنيق الذى كان يطلق علىَّ الرصاصات من مدفع لا يعلم إلا الله من أين حصل عليه ، كان ..

كان ..

كان الحظ ـ بلا حساب ـ يمشى على قدمين !!

كان (على) !!

☆ ☆ ☆

الأحد ٢٧ / ٥ الساعة ١١,٣٤ صباحًا
المكان : عيادة الدكتور (مجدى) .. ذلك الوغد !!

مرحبًا بكم مجددًا أيها السادة .. ها نحن نواصل قصتى ، وهذه المرة من عيادة صديقى / السابق / الوغد (مجدى) ..

هذه المرة انضم إلينا ضيف جديد هو المهندس (عادل صدقى) .. مهندس كمبيوتر شاب ، هادئ الطباع وسيم نوعًا ما .. اختطفته هذا الصباح ليحل لنا مشكلة كمبيوتر (مجدى) !!

لكن دعنى أشرح لك أولاً كيف وصلنا إلى هذه اللحظة ، ولنبدأ من ذلك المشهد حين كنت أنا أحدق ذاهلاً فى جثة (على) الذى قتلته بنفسى ، لأضمه إلى قائمة ضحاياى ..

بالطبع كنت مذهولاً .. ومصدومًا .. وخائفًا ..

فالموقف الآن أصبح يعنى شيئًا خطيرًا .. بل عدة أشياء ..

أولاً : إن سيطرة (مجدى) على من يجرى عليهم تجربته بلا حدود ..

ثانيًا : إن وزير الداخلية السابق (مراد البحيرى) متورط فيما يحدث ، وإلا كيف عرف (على) أو من أرسله إلى هذا المكان ؟! دعك من ذلك المدفع الذى يحمله ، والذى لا يمكن الحصول عليه إلا من جهات خاصة للغاية ..

ثالثًا : إنهم ينوون التخلص منا وبأى ثمن .. الشرطة تطاردنا ، وهم يسعون خلفنا ..

على كل حال لم أكن أملك رفاهية الذهول والتفكير ، بل كان يجب أن أتحرك بسرعة تحسبًا لمجىء الشرطة أو لوجود آخرين .. لذا أسرعت بالعودة للشقة ، لألتقط (مايا) المرتجفة كطفل ضائع .. ولنبتعد ..

قضينا الليلة فى أحد الفنادق الرخيصة فى وسط البلد ، حيث لا يطلبون إثبات شخصية ، ولا يهمهم من سيسكن مادام يدفع الثمن .. وكانت ليلة غابرة لم أستطع النوم فيها إلا فى مطلع الفجر ، وقد أنهكت الأفكار رأسى ..

وبالطبع زارنى ذات الحلم العجيب . . أنا أسقط فى الضوء الباهر ، لينتهى بى الأمر فى تلك القاعة ، وطيف رجل ما ينحنى على جثة شخص ما . .

وهذه المرة كنت أنا من ينحنى على جثة ذلك الرجل الملقاة على الأرض !!

حتى فى الحلم لا تنفك الأحلام تطاردنى بشراسة !!

وكان أول ما فعلته فى الصباح ، هو أن طلبت من (مايا) أن تسبقنى لعيادة الوغد (مجدى) ، بينما سأذهب أنا لأحضر من يستطيع تشغيل الكمبيوتر . .

لست فى حاجة لخبير من نوع خاص ، لكنى كنت أسمع عن ذلك المحترف الذى يعيش فى مصر الجديدة ، والذى كنا نعد عنه ملفًا تمهيدًا للقبض عليه . . أعتقد أنه يكفى . .

ذهبت إليه فى منزله فى التاسعة والنصف صباحًا ، لأقتاده بمنامته دون أن أمنحه فرصة للفهم أو التراجع . . لم يكن ليعترض ومسدسى فى وجهه طيلة الوقت . .

وها نحن الآن نقف فى العيادة ، أنا أقف مدخنًا - من الصعب أن تكون مع (مايا) دون أن تتعلم التدخين - والمهندس (عادل صدقى) يتعامل مع الكمبيوتر مستخدمًا برامج وأجهزة لا أفقه فيها حرفًا ، بينما انزوت (مايا) فى الركن تدخن . . لم تعد (مايا) كما كانت . . الآن تحمل عيناها نظرة خوف مبهم تثير الإشفاق حقًا . .

المسكينة . . رأت وعرفت أكثر مما ينبغى بكثير !!

لكن لا بأس . . لكل شىء نهاية . . ولو كان إحساسى صحيحًا ، فالنهاية أوشكت بالفعل . .

تحدث (عادل) ليقول بهدوء :

- الأمر سيستغرق وقتًا طويلاً . . كلمة السر من تسعة حروف ، ويمكننا أن نقضى أيامًا طويلة قبل أن نفك رموزها . .

بهدوء أشد أجبت :

- ساعة واحدة . .

صرخ (عادل) بعصبية :

- ماذا ؟!

كررت :

- أمامك ساعة واحدة .. ولن أقبل النقاش ..

فتح فمه ليصرخ بالمزيد ، لولا أننى جذبت زناد المسدس مهددًا ، فابتلع اعتراضه مكتفيًا بغمغمة غير مفهومة ، وعاد يواصل عمله بسرعة أكبر نسبيًا ..

أعرف أن الأمر سيستغرق أكثر من ساعة ، لكن لو تركت له الحبل على الغارب ، لاستغرقت القصة أيامًا نقضيها هنا ، حتى ينتهى ..

ذهبت لأطمئن على (مايا) ، فوجدتها فى أسوأ حال ممكنة ، لكنى قلت مشجعًا :

- (مايا) .. لقد مرّ الأسوأ بالفعل ، وقريبًا سينتهى هذا كله ..

رفعت إلىّ عينين دامعتين ، ولأول مرة نطقت اسمى قائلة :

- (سامى) .. أريدك أن تعدنى شيئًا .. لا تدعهم يقتلوننى .. أرجوك ..

يا للعينين الرماديتين !! وكيف لى أن أرفض طلبًا لصاحبتهما ، حتى لو لم أكن واثقًا من قدرتى على تنفيذ هذا الطلب .. أجبتها :

- لن أدع أحدهم يلمسك ..

وربّت على كتفها .. ثم تركتها لألقى بنفسى فى عاصفة الأفكار والهواجس التى تزوم فى رأسى ..

يجب على أحدهم أن يدفع ثمن هذا كله .. يجب ..

كنت أشعر بالنعاس .. بالإرهاق .. بالغضب .. بالحيرة !!

كنت على وشك الانفجار .. فقط أنتظر الهدف الصحيح الذى سأنفجر فى وجهه ..

وكانت عيناى معلقتين على عقارب الساعة ، تنتظر أن ينتهى المهندس (عادل) من فك الشفرة .. بالطبع استغرق الأمر أكثر من ساعة .. بل استغرق ثلاث ساعات كاملة ، هتف بعدها المهندس بانتصار :

- فعلتها ..

أسرعت إليه بلهفة أخفيتها خلف قناع من الغضب ، وأنا أقول :

ـ لكنك تجاوزت وقتك بكثير . .

أجابنى بحماس :

ـ لقد فككت الشفرة فى ثلاث ساعات فحسب . . إنه إنجاز حقيقى . . والآن ما الذى تريدان معرفته بالضبط ؟؟

أجبته باختصار :

ـ كل شىء . .

أخذت أصابع المهندس (عادل) تعبث فى لوحة المفاتيح بمهارة لا تنكر ، بينما أخذ يتلو علينا ما يجد أولا فأولاً :

ـ هناك العديد من الملفات معظمها أبحاث طبية تتعلق بعلم النفس ، والتنويم المغناطيسى . . وهناك قسم خاص يتعلق بتجربة ما ، وقائمة بأسماء لا أفهم عن ماذا تتحدث . . أيًا كان من كتب هذه الملاحظات ، فلقد كتبها بطريقة لا يفهمها سواه . .

سألته (مايا) :

ـ أريد كل المعلومات المذكورة عن التجربة . .

أجابها (عادل) :

ـ لست أفهم حرفًا مما أقرؤه . . لكن هناك برنامجًا يتعلق بهذه التجربة ، هل تودان رؤيته ؟؟

هتفت أنا و (مايا) بصوت واحد :

ـ نعم . .

شغل (عادل) البرنامج ببساطة ، ثم قال :

ـ حسنًا . . إنه برنامج للتنويم المغناطيسى . . وهو مقسم فى عمله وفقًا للشخص الذى ستجرى عليه التجربة . . أمامى عدة أسماء ، بمن سنبدأ ؟!

تبادلت مع (مايا) نظرة سريعة ، ثم قلت :

ـ ابحث عن اسم (مايا) . .

ثم التفت إليها قائلاً :

ـ ربما كانت هذه فرصتك لتعرفى ما الذى حدث . .

هزّت (مايا) رأسها بمزيج من الرهبة والتفهم ، ثم قالت :

ـ سأخوض التجربة مجددًا . . لكن يجب أن تحقننى بالمهدئ أولاً . .

سألتها :

ـ أين هو ؟!

تركتنى لتبحث فى أحد الدواليب ، ثم عادت بالمحقن ، وقد أعدته ، وقالت :

ـ يجب أن نكرر الأمر تمامًا كما فعله .. لا صوت .. لا ضوء .. لا شىء سوى شاشة الكمبيوتر لأحدق فيها ، لكن لا يجب أن يفوتك شىء مما سيحدث ..

هززت رأسى بمعنى أننى أفـهم ، فكشـفت لى عن ذراعها لأحقنها بالمهدئ ، بينما لاذ المهندس (عادل) بالصمت التام ..

تمددت (مايا) على الفراش الطبى أمام الكمبيوتر ، بينما أسدلت أنا الستائر السوداء ؛ ليغرق المكان كله فى الظلام ، إلا من ضوء شاشة الكمبيوتر .. نظر إلىّ (عادل) ، فهززت رأسى لأعطيه إشارة البدء ..

وبضـغطة زر شـغل (عـادل) برنامج التنويم المغناطيسى الذى بدأ به كل شىء ..

الآن أرى تلك الشاشة الرهيبة تبث لى ولـ (مـايا) نقطة التحول فى حياتنا معًا ..

المشكلة هى أن ما رأيته الآن لا يمكن وصفه بأمانة !!

المشكلة أنه يجب أن ترى بنفسك ما أراه لتصدق !!

المشكلة أن الذى أراه الآن عكس جميع كل توقعاتى !! لكنى سأحاول ..

فى البداية كانت الشاشة البيضاء .. النور الذى تحدق فيه ليغشى عينيك فى لحظة .. ثم بدأت الصور فى التلاحق بتتابع غير طبيعى ..

صور لـ (مايا) .. صور لأسلحة .. لقطات من حروب .. صور لجثث .. صور لأماكن .. صور لانفجارات .. صور لـ (مايا) مجددًا .. صور لأشخاص لا أعرفهم ..

صور تمتزج صور تتلاشى .. صور تولد وصور تختفى قبل أن تميز منها شيئًا ..

صور .. صور .. صور ..

ثم كلمات ترتسم وتختفى ، قبل أن تتمكن من قراءة حرف واحد منها ..

ثم المزيد والمزيد من الصور !!

وبانفعال جارف همست :

ـ ما هذا ؟!

أجابتنى نظرة (عادل) المذهولة التى تحمل الحيرة ، كما يجب أن تكون . .

ولم تتوقف الصور عن التلاحق بإيقاع مطرد !! ثم وقبل أن يتمكن أحدنا من الفهم كان باب العيادة يتهشم ، ليدخل رجال الشرطة يترأسهم (مدحت) ، وقد سددوا مسدساتهم كلها نحونا ، و (مدحت) يهتف بصرامة :

ـ لا تتحرك . . ارفع ذراعيك فى الهواء فوراً . . وألق سلاحك . .

☆ ☆ ☆

يا إلهى . . ليس الآن !!

هتف المهندس (عادل) على الفور :

ـ لست معهما . . لقد اختطفنى هذا الرجل . .

تجاهله (مدحت) تمامًا ، ليصرخ مجددًا :

ـ قلت لك ارم سلاحك ، وارفع ذراعيك فى الهواء . . هذه المرة لن أتردد فى إطلاق النار عليك . . بحثت عن

شىء لأقوله ، لكن تلك الغصة فى حلقى منعتنى من الكلام ، فألقيت سلاحى أرضًا ، وبدأت فى رفع ذراعى ببطء . .

حسنًا . . إنها النهاية هذه المرة . . لقد خسرت كل شىء بعد كل ما فعلته . .

الآن علىّ أن أواجه المصير المظلم الذى ينتظرنى . .

تحرك اثنان من الرجال ليحيطا معصمىّ بالأغلال ، بينما تساءل أحدهم :

ـ الفتاة على الفراش . . إنها غائبة عن الوعى تمامًا ، ما الذى أفعله ؟!

أجابه (مدحت) بلا اكتراث :

ـ اعمل على إفاقتها ، فربما كانت معه . . وأغلق جهاز الكمبيوتر هذا ، حتى يأتى من يفحصه . .

وهكذا أيها السادة كان علىّ أن أبتلع مرارة الفشل ، بعد أن كدت أصل للنهاية . . بعد أن كدت أفهم . .

وهكذا أيها السادة كان الموت هو أمنيتى العزيزة فى تلك اللحظة لولا . . لولا أن تحركت (مايا) بغتة . .

وهنا يجب أن نتوقف لحظة ؛ لأصف لكم كيف حدث ما حدث . .

وهنا أكرر أننى عاجز تمامًا عن نقل ما حدث بالضبط ، لكنى سأحاول !!

بغتة فتحت (مايا) عينيها الرماديتين ، وهذه المرة كانتا تحملان نظرة لم أرها من قبل . .

وفى اللحظة التالية تحركت . . ولو كان هذا فيلمًا لكان عليك عرض اللقطات التالية بالتصوير البطىء لتستوعب ما حدث . .

مدت يدها لتقبض على معصم رجل الشرطة الذى انحنى عليها ، وأدارته بصورة خاصة جعلته يطير ليسقط أرضًا . .

ثم قفزت . .

قفزت من على الفراش لتركل رجلاً آخر . . ثم قفزت مرة أخرى لتنتزع مسدسه ، لتطلق بضع رصاصات أطاحت بمسدسات الجميع . . ثم قفزت لتهوى بالمسدس على رأس رجل آخر . . ثم قفزت مجددًا . .

ثم قفزت . .

الأمر كله بدا أشبه بالباليه ، وهى تطير برشاقة لا معقولة ، ليسقط أحدهم كل مرة ، بينما اكتفيت أنا بالتجمد فى مكانى ذاهلاً ، عاجزًا عن التصديق !!

وحين هبطت أخيرًا ، كان الكل ملقى على الأرض بلا حراك ، وقد فقد وعيه . .

وبلهجة آمرة قالت :

ـ هيا بنا . .

لم أستطع التحرك لفرط ذهولى ، فجذبتنى من يدى متابعة :

ـ هيا قبل أن يأتى آخرون . .

تبعتها مأخوذًا ، لنخرج من العيادة إلى سلم الطوارئ . . لأسفل . . للشارع . . لأول سيارة أجرة صادفناها ، لنبتعد عن المكان . .

وحين تحرك لسانى أخيرًا ، نطقت :

ـ كيف ؟!

أجابتنى (مايا) :

ـ لنبتعد بما فيه الكفاية ، ثم سأشرح لك كل شىء . .

وشردت عيناها الرماديتان ، مردفة :

ـ لقد عرفت الذى فعلته . .

ولم تنطق بحرف آخر تاركة إياى أبتلع ذهولى الذى لا حد له !!

☆ ☆ ☆

الأحد ٢٧ / ٥ الساعة ٦,١٣ مساءً

المكان : أمام ذلك المبنى فى المقطم !

الآن سأنقل لكم الأحداث الأخيرة لهذه الليلة ، لكن قبل أن أبدأ ، اسمح لى أن أسألك سؤالاً .. هل تعرف نفسك حقًا ؟!

أرجوك فكّر فى هذا السؤال ، قبل أن تقرأ الأحداث التالية .. أو اقرأ الأحداث أولاً ، فربما فهمت ما أعنيه بالضبط ..

الآن أنا أقف جوار (مايا) خلف تلك التبة الرملية .. رياح المقطم الباردة تعبث بأجسادنا المنهكة .. وذكريات كل ما مررنا به تمنح الموقف كله رهبة لا تنكر ..

الآن .. أفكر كثيراً قبل أن أنطق بسؤالى التالى ، فيأتى :

ـ ولكن .. كيف ؟!

تجيبنى هى باقتضاب :

ـ الإجابة هناك ..

وتشير بعينيها الرماديتين إلى ذلك المبنى المهجور أمامنا .. فأرمقه بلا فهم ، لتواصل (مايا) :

ـ إنه هناك .. فى الداخل ..

تقولها فيخفق قلبى بعنف .. إنه هناك .. (مجدى) هناك !!

أهمس بانفعال :

ـ وما الذى ننتظره ؟!

يحمل وجه (مايا) تعبيراً غريبًا ، لا أستطيع الجزم بكنهه .. أهو الخوف ؟؟ أهو الغضب ؟؟ لن أعرف أبدًا .. !!

ترى ما الذى فعلته (مايا) بالضبط ، بعد أن أجرى (مجدى) عليها التجربة ؟!

سألتها حين كنّا فى سيارة الأجرة ، فلم تجب .. ولم أكرر سؤالى بعدها ..

تنطق هى أخيراً ، لتقول :

ـ هيا بنا ..

وهكذا نتحرك معًا ببطء لا يحمل رائحة الثقة ، حتى نصل لمدخل ذلك المبنى المهجور . .

نقف أمام البوابة المعدنية الضخمة ، فتلتقط (مايا) نفسًا طويلاً ، ثم تقرع البوابة بنسق معيّن . .

للحظة لم يتغير شىء . . ثم بدأ صوت الأقدام من الداخل يتعالى . . صوت يد تعالج الرتاج . .

ثم البوابة الضخمة تفتح بصرير مخيف ، كبوابات قلاع الأساطير . .

ثم نغرق فى الضوء المبهر . .

☆ ☆ ☆

فتحت عينى بصعوبة مع كل هذا الضوء الذى هبط علىّ كشلال ، لينتفض جسدى ذهولاً !!

المبنى الذى يبدو مهجورًا تمامًا من الخارج ، لم يكن كذلك ـ أبدًا ـ من الداخل . .

الأضواء كانت تغمر المكان من السقف والجدران ، لتضىء قاعة ضخمة بيضاء ، استقرت على أرضيتها الرخامية عشرات المكاتب ، وعلى كل مكتب كمبيوتر جلس أمامه رجل أو امرأة ، أخذ يعمل عليه بصمت تام . .

الذى فتح لنا البوابة كان ضخمًا ، تحمل ملامحه مزيجًا من الجمود والندوب ؛ لتصنع منه حارسًا مثاليًا لمنظمة إجرامية . .

تقدمت منه (مايا) بثقة لتقول :

ـ أغلق الباب . .

نفذ الضخم أمرها بلا مناقشة ، ثم التفت إليها ليقول بجمود تام :

ـ مرحبًا بعودتك يا سيدتى . .

ثم التفتت هى إلىّ لتجدنى أرمقها ذاهلاً ، فقالت :

ـ ألم تتذكر بعد ؟؟

صحت ، وقد أخذ منّى الذهول مأخذه :

ـ أتذكر ماذا ؟!

ثم ولذهولى وجدتنى أتذكر بالفعل !!

لست أعرف كيف أو لماذا أو متى . . لكن هذا المكان يبدو مألوفًا لى بالفعل . . هذا المكان كنت فيه من قبل !!

ولكن كيف ؟؟ متى ؟؟ لماذا ؟؟

أتى الصوت المألوف من آخر القاعة يقول :

ـ عزيزى (سامى) .. إذن فقد وصلت أخيرًا ..

التفت إليه لأصرخ بكل ما تموج به نفسى من انفعالات :

ـ (مجدى) ؟!

كان الوغد هناك .. يتحرك بهدوء بالغ ، مرتديًا معطفه الأبيض ، وعلى وجهه ابتسامة لا مبالية ، وفى عينيه نظرة تحمل ألف معنى ..

تعاظمت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ أحضرت (مايا) ؟؟ عظيم .. لقد بدأنا نفتقدها حقًا هنا ..

كنت أود أن أقتله .. أن أمزقه .. أن أسأله .. أن أنتقم .. أن أفهم .. لكن ذلك المزيج الرهيب من المشاعر شلّ حركتى تمامًا ، فلم أنطق ، حتى وقف أمامنا تمامًا ليقول :

ـ كنت متأكدًا من أنك ستأتى .. وأنت يا (مايا) .. هل عرفت ما فعلته أخيرًا ؟

هزّت رأسها إيجابًا ببطء ، فابتسم (مجدى) قائلاً :

ـ وتودين لو أنك لم تعرفى قط ، أليس كذلك ؟؟ على كل حال هذا هو ثمن المعرفة الذى يجب أن ندفعه .. هناك مثل أمريكى شهير يقول (المجهول من الأفضل له أن يبقى مجهولاً) ، وأحسبك تفهمين معنى ذلك المثل الآن ..

انتزعت نفسى بصعوبة من حالة الذهول البلهاء هذه ، وفتحت فمى لأسأل ، لكن (مجدى) استوقفنى بإشارة من يده ليقول :

ـ أعرف ما تريد قوله .. تريد أن تفهم ، لكن قبل أن أشرح لك كل شىء ، هل أنت مستعد حقًا لدفع ثمن المعرفة ؟!

نظرت لـ (مايا) لأبحث فى عينيها عن الإجابة ، فنكست هى رأسها ببطء .. لكن لا .. يجب أن أفهم .. يجب ..

هززت رأسى إيجابًا ، فابتسم الوغد (مجدى) بركن فمه ، كأنه يمنحنا عرضًا مجانيًا لابتساماته ، وقال :

ـ حسنًا . . أنت اخترت . . لنجلس إذن . .

قالها واقتادنى أنا و (مايا) الصامتة إلى ركن القاعة ، حيث جلسنا على مجموعة من المقاعد المتراصة ، كأننا مجموعة من الأصدقاء تستعد لتبادل الذكريات !

صمت (مجدى) برهة ليستجمع أفكاره ، ثم قال :

ـ من أين تحب أن أبدأ ؟؟

أجبته بخفوت :

ـ منذ البداية . . بداية كل شىء . .

أجاب (مجدى) :

ـ هذا ما توقعته . . لا زالت غريزة رجل الشرطة داخلك تعمل بكفاءة . . لنبدأ إذن من ذلك اليوم الذى قررت أن أدرس فيه التنويم المغناطيسى . . ذلك الجزء المهمل من الطب النفسى ، والذى يمر عليه الجميع مرّ الكرام دون أن يتساءلوا لحظة عن حقيقته . . لن أضيع الوقت بشرح أساسيات هذا العلم وتاريخه ، بل سأدخل على الفور إلى ذلك اليوم الذى قررت فيه تجربة

التنويم المغناطيسى بنفسى . . أجريت التجربة على إحدى السيدات اللاتى يأتين إلىّ بانتظام ليشكين من حياتهن الزوجية . . أنت تعرف هذا الشق الممل فى حياة أى طبيب نفسى ، لكنه الشق المربح فى الواقع . . المهم ، لم أجد صعوبة بالغة ، خاصة وأننى استخدمت معها مهدئًا خفيفًا ليريحنى من ثرثرتها قليلاً . . وهكذا وجدتنى ، ولأول مرة أمام العقل البشرى بكل خباياه وأسراره ، وقد أصبح طوع يدى . . أدق أسرارها . . ذكرياتها المنسية . . مخاوفها . . عيوبها التى تداريها كل يوم . . شرورها التى تكبتها داخلها باستمرار . . كل هذا أصبح ملكى . . لكن واجهتنى مشكلتان ، أولاهما أن هناك درجات من التنويم المغناطيسى ، ولأصبح المتحكم الأوحد لعقل هذه السيدة ، كان علىّ بلوغ درجة معينة من التنويم المغناطيسى لم يبلغها أحد . . وهذا بالطبع لم يحدث فى المرة الأولى أو الثانية أو حتى الثالثة . . لكنى فعلتها أخيرًا . .

وبرقت عيناه ، وهو يستعيد تلك الذكرى ، ثم واصل :

ـ وصلت إلى أقصى درجة من درجات التنويم المغناطيسى ، لتواجهنى المشكلة الثانية .. أنت لا تستطيع أن تجبر المنوّم مغناطيسيًا على فعل أشياء يرفض فعلها فى يقظته .. لكن ماذا عن الأشياء التى يرغب فى فعلها ، ويمنع نفسه عنها طيلة الوقت ؟؟ ماذا عن النصف المظلم داخل كل آدمى ، حيث يدفن شروره ، ونزواته ، وأسراره السوداء ؟؟ والأهم من هذا كله ، ما الذى قد يحدث لو أطلقنا هذا النصف المظلم من سجنه وفككنا قيوده ؟؟ ما الذى قد نحصل عليه حينها ؟؟

أصابنى الخوف من تصور النتيجة فلذت بالصمت ، بينما قالت (مايا) ببطء :

ـ سيخرج مستر (هايد) ..

هتف (مجدى) طربًا :

ـ بالضبط .. تمامًا كما كان يحدث فى رواية دكتور (چيكل ومستر هايد) .. ما إن تطلق مارد الشر من عقاله داخل أى آدمى حتى يتحول إلى كائن آخر تمامًا ، لا يمت بصلة لتلك الواجهة الاجتماعية التى يقدمها لنفسه والناس كل يوم .. قد يكون الشخص الذى

ستجرى عليه التجربة هادئًا متحفظًا خجولاً نوعًا ما .. لكن ما إن تجرى عليه التجربة حتى يتحول إلى شيطان حقيقى .. شيطان قابل للترويض والتحكم ..

بصدق وأمانة قلت :

ـ لم أفهم حرفًا ..

ازداد حماس (مجدى) ، وهو يشرح مفسرًا :

ـ ألم تسمع عبارة مخرج أفلام الرعب الشهير (الفريد هتشكوك) ؟؟ أى إنسان قد يقتل فى لحظة .. هذا حقيقى .. هناك لحظات قد يفقد فيها المرء سيطرته على نصفه المظلم ، ليقتل أو يسرق أو يفعل ما هو أسوأ .. يا عزيزى الشر موجود داخل كل آدمى ، وكل ما أفعله أنا هو أن أطلق سراحه ، وأجعله المتحكم .. كل ما عليك ، هو التحديق فى برنامج التنويم المغناطيسى الذى صممته ، بعد أن تحقن نفسك بمزيج خاص من المهدئات ، وعقاقير الهلوسة ، وستكشر شرورك عن أنيابها لتعلن وجودها للجميع ..

سألته بحيرة :

- ولكن ما الذى تستفيده أنت من هذا كله ؟! إنك تصنع وحوشاً غير قابلة للترويض . .

قاطعنى (مجدى) :

- خطأ . . بل قابلة للترويض . . لا تنس أن كل شىء يتم تحت إطار من التنويم المغناطيسى . . الناتج الذى تحصل عليه ، هو مسخ يمكنك تدريبه ، واستخراج طاقات منه لم يحلم هو بوجودها داخله ، ثم استغلالها لتحقيق أهدافك التى تعجز عن تحقيقها بمفردك . .

تحدثت (مايا) مفسرة :

- أى أنك تستخدم شرور الناس لتحقيق شرورك الخاصة . .

أجابها (مجدى) بغلظة :

- تفسير جاف ، ويحمل الكثير من الخطأ . . أنا لا أملك شروركم ، أو فلنقل إننى أجيد السيطرة عليها . . ما أفعله هو أننى أستخدم هؤلاء فى أغراض أسمى من أن تفهميها بكثير . .

جاء دورى لأهتف بعصبية :

- كإرسالى لقتل ذلك الصحفى ، وعائلته . . وأين ؟! فى مركز الشرطة ، حيث كنت أعمل !!

هزّ (مجدى) كتفيه ببساطة ليقول :

- قد تصدقنى أو لا . . لكن قتلك لذلك الصحفى ، وعائلته لم يكن بأمر منّى على الإطلاق . . أنت نفذت هذه المهمة لأغراضك الشخصية . .

صرخت باستنكار :

- ماذا ؟!

فأجابنى بهدوء مستفز :

- دعنى أحك لك أولاً ما حدث لك إن كان هذا يهمك . . حين قمت بتنويمك أنت و (على) ذلك اليوم ، فعلت هذا بغرض التجربة البحت ، دون أى نية لاستخدامكما فى مخططى ، لكن ما إن أصبحت عقولكما طوع يدى ، حتى وجدت أن الإغراء أقوى بكثيرمن أن يقاوم . . فـ (على) يملك ـ بفضل ثرائه الفاحش ـ نفوذاً وسلطة قد يسهلان لى الكثير من الأعمال ، أمّا أنت فلم أكن أتخيل أنك تحمل داخلك هذا القدر من العنف والجرأة . . لذا أخذتكما معى إلى هذا المقر لتخضعا لتدريبات خاصة . . تدريبات

جسدية ، وذهنية ، ولن تصدقنى أيضاً لو قلت لك إنك فى أسبوع واحد حققت ما قد يحققه البعض فى سنوات من التدريب المستمر . . لا بد أنك شعرت بهذا . . لا بد أنك شعرت أنك أقوى جسدياً على الأقل . .

لم أجبه ، لكنى كنت متأكداً أنه لا يكذب فى هذه النقطة على الأقل . . وتابع هو :

ـ وهكذا كان علىّ تغيير نسق حياتك ليتناسب مع المستقبل الذى حددته لك ، وكان أول ما قمت به هو أن أقنعتك بأن تطلق زوجتك . . ولا أظن أنك نادم على هذا القرار الآن . . بل أعتقد أنك تشعر فى قرارة نفسك أننى أسديت لك صنيعاً ، أليس كذلك ؟!

لثانى مرة أكاد أقسم إنه لا يكذب !! وتابع (مجدى) :

ـ فى تلك الليلة أرسلتك لمركز الشرطة لتحضر لى بعض الملفات الخاصة . . ملفات لا يجوز لأحد أن يطلع عليها ، لكنك لم تكن لتجادلنى وأنت فى هذه الحالة . . وكالعادة أرسلت من يراقبك للتأكد من أن كل شىء سيتم على ما يرام . . وهاك ما أخبرنى به مراقبك حين عاد . . فى طريقك للمركز اصطدمت سيارتك بسيارة

ذلك الصحفى (باهر) ، ورد فعل طبيعى خرج الصحفى من سيارته طالباً الشجار معك ، أو التعويض لإصابة سيارته ، لكنه لم يكن يتحدث إليك حينها . . بل كان يتحدث لنصفك المظلم ، المدرب جيداً على تخطى أى عقبة فى سبيل تنفيذ المهمة . . وهكذا قررت أنت ، ودون أى تدخل منى ، أنِ تقتل الرجل وعائلته الذين كانوا معه فى سيارته ، فأخذتهم معك تحت تهديد السلاح إلى المركز ، لتقتلهم بكل العنف الذى كان مكبوتاً داخلك ، والذى حررته أنا بتجربتى . . ولا بد أن هذا سبب لك صدمة عنيفة ، جعلتك تفيق لتجد نفسك فى هذا الموقف . .

أنت قاتل ومحتجز لرهائن لا ذنب لهم سوى أنهم اقتربوا أكثر من اللازم من نصفك المظلم . .

قال هذا كله ، ثم لاذ بالصمت ليراقب رد فعلى . .

أما أنا فكنت فى حالة لا توصف من الذهول والمرارة ، وعدم التصديق . .

إذن فأنا قاتل فى أعماقى دون أن أعرف !!

أنا من قرر ارتكاب هذه المذبحة ، لمجرد أننى فقدت السيطرة على نصفى المظلم .. على شرورى المدفونة .. على مستر (هايد) !!

لكن مستحيل !! لا يمكننى تقبل هذه الفكرة بأى ثمن !! مستحيل !!

وبغضب متخاذل صحت :

- أنت تكذب .. تحاول أن تهرب من مسئولية ما دفعتنى لفعله .. وحتى لو لم تكن تكذب ، فأنت المسئول .. أنت من حولنى إلى هذا المسخ ..

هزّ (مجدى) رأسه موافقًا ، وقال :

- فى هذه النقطة أنت محق .. لقد عجزت تمامًا عن السيطرة على كم العنف داخلك .. أنت أول حالة فشل للتجربة أواجهها ، لكن لا بأس .. لا بد من بعض الخسائر المقبولة لتنفيذ مخططى ..

سألته بعصبية :

- أى مخطط هذا الذى تتحدث عنه طيلة الوقت ؟! ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

عاد (مجدى) الوغد يبتسم ابتسامته الذئبية ، مجيبًا :

- ما تراه أمامك الآن هو ذروة نجاح تجاربى .. كل من تراهم هنا من رجال ونساء يعملون بهمة ونشاط ، وصمت تام دون أن يعرفوا بهذا قط .. كلهم مرّوا بالتجربة فى ظروف مختلفة ، وفى كل ليلة يأتون إلى هنا ، ثم يعودون إلى منازلهم مع مطلع الفجر ، ليستيقظوا دون أن يتذكروا شيئًا مما حدث .. قد يشعرون بنوع من الإرهاق صباحًا ، لكن أحدهم لن يتخيل أن سبب هذا الإرهاق أنه كان يعمل بلا توقف طيلة الليل ..

أدرت وجهى لأطالع وجوه هؤلاء الرجال والنساء الجامدة ، وهم يعملون بتناسق وتنظيم ، من المستحيل أن يعملوا به لو كانوا مستيقظين حقًا !!

أيًا كان ما أراه الآن ، فهو مخطط مخيف .. مخيف !!

سألت (مايا) :

- وما الذى يفعلونه بالضبط ؟!

أجابها (مجدى) ، وقد أخذ منه الحماس مبلغه :

- يكوّنون قاعدة ضخمة من المعلومات .. معلومات سياسية .. اقتصادية .. فنية .. عسكرية .. كل أنواع المعلومات المتاحة فى كل مكان ، ثم يقومون بفهرستها ، وتقسيمها فى قاعدة معلومات خاصة صممها عباقرة كمبيوتر .. باختصار ، كل ما يلزم لمنظمة الفوضى ..

رددت من خلفه مستغرباً :

- الفوضى ؟!

أجاب (مجدى) :

- نعم .. الفوضى .. ألم تتساءل عن السبب الذى جعلك وجعل كل هؤلاء يحملون ذلك القدر من العنف داخلكم ؟! إنها وليدة الأنظمة التى نحياها .. الحياة المادية التى أصبحت تهيمن على أرواح العالم كله .. الإنسان هو الكائن الوحيد الذى قضى مئات السنوات من التطور ، لتقوده إلى قاع الهاوية الحضارية .. انظر للعالم من حولك .. حروب .. دمار .. مجاعات .. أكثر الدول غنى بالثروات الطبيعية هى أكثر الدول فقراً ، وأكثر الدول ذات الواجهة الحضارية الأنيقة ،

هى أكثر الدول التى ينتشر فيها العنف والشغب بكل صوره .. النصف المظلم فى أعماقك ، هو امتداد للنصف المظلم فى المجتمع ذاته .. وأنا قررت أن أحطم هذا النصف المظلم بأن أحطم الأنظمة ذاتها ..

فكّرت لحظة فى كل ما قاله ، ثم قلت :

- حسنًا .. أنت مجنون تماماً ..

- ربما .. لكن الأمر كله يحتاج لدرجة من الجنون ليصبح قابلاً للتنفيذ ..

- وهل تعمل وحدك فى هذا كله أم أن هناك آخرين ؟!

- بالطبع هناك آخرون .. فى كل مكان فى العالم .. أكثر مما يمكن أن تتصور بكثير ..

- وهل الوزير السابق (مراد البحيرى) منهم ؟!

لم يملك (مجدى) نفسه من الضحك ، قبل أن يجيب :

- ذلك الوزير لا يعدو كونه وسيلة دفاعية .. هو أيضًا مرّ بالتجربة ، وكل مهمته هى أنه لو رأى تلك البطاقة السوداء التى تحملها (مايا) ، فعليه أن يتصل بى ليخبرنى بهذا ، لأبدأ فى إجراءات التخلص منها ..

وهذا ما فعلتـه حين أرسلت (عليًا) للتخلص منها ، لتتخلص أنت منه . .

كل شخص هنا يحمل وسيلة دفاعية خاصة ، بحيث لو اقترب من فهم كل ما يحدث ، تتم تصفيته بهدوء . . وكما قلت مسبقًا . . خسائر مقبولة من أجل نجاح منظمة الفوضى . .

هنا . . وقد فهمت أخيرًا كل شىء ، أخرجت مسدسى لأسدده فى وجه (مجدى) قائلاً بهدوء صارم لم يخل من مقت لا حد له :

- عزيزى (مجدى) . . أنت وغد !!

ابتسم الوغد أمام فوهة مسدسى ، وقال :

- وأنت أحمق . . أتظن أننى لم أضع هذا فى حسبانى ؟!

وقبل أن أفهم ما يعنيه هوت يد ضخمة على يدى لتطيح بالمسدس ، فتحركت (مايا) بغريزية ، لتنقض على ذلك الضخم الذى فتح لنا البوابة ، فقمت أنا أيضًا مستعدًا للمعركة . . أما (مجدى) فأخذ يرمق هذا كله بهدوء ، وقال :

- هيا يا (سامى) . . أرنى إن كنت تتذكر تدريباتك . . أنت من أحدث هذه الندوب فى وجه هذا الضخم فى أحد هذه التدريبات . .

صاح هاتف داخلى :

- أنا من أحدث تلك الندوب فى وجه هذا الدب ؟؟ إننى لن أستطيع أن أزحزحه من مكانه !! لكننى تحركت بسرعة غير طبيعية لأتفادى لكمة سددها إلىّ ، وتحركت أطرافى لا شعوريًا لأتخذ وضعًا قتاليًا معقدًا . . ثم . . ثم . .

ثم تحرك مستر (هايد) داخلى من جديد !!

لن أصف لكم المعركة ، لكننى سأقول إن فرص ذلك الضخم البائس كانت شبه معدومة أمامى أنا و (مايا) بكل تلك القدرات القتالية التى تفجرت داخلنا ، وليدة تدريبات عشناها دون أن نذكر منها شيئًا . .

وبعد خمس دقائق ، كان الضخم قد سقط وقد فقد وجهه ملامحه ، بينما وقفت أنا ألهث أمام (مجدى) البارد كالقطب الجنوبى ، لأقول :

- والآن ؟!

صفق (مجدى) بحبور ، ثم قال :

ـ عظيم .. عظيم .. مستواك تحسن بكثير ، وأنت يا (مايا) .. لم تفقدى مهارتك بعد كل هذه الفترة .. رائع .. والآن يا عزيزى (سامى) هل ستقتلنى هذه المرة بإرادتك الحرة ، أم أنك ستلقى القبض علىَّ لنذهب معًا إلى مركز الشرطة لنروى القصة لمن سيصدقون هناك ؟!

أجبته وأنا أنحنى لألتقط المسدس :

ـ بل سأقتلك .. أنا قاتل الآن على كل حال ، ولن يضيرنى أن أضيف ضحية جديدة لسجل ضحاياى ..

وسددت المسدس لرأسه ، لكن (مايا) أمسكت بيدى قائلة :

ـ لا داعى لهذا .. لقد انتهى أمره بالفعل ..

ثم إنها أخرجت من جيبها جهاز اتصال لاسلكيًا كالذى كنت أحمله أيام كنت شرطيًا ، وقالت :

ـ لقد أخذت هذا من زميلك الذى جاء ليقبض علينا فى العيادة .. لا بد أنهم سمعوا كل شىء الآن ، وفى طريقهم إلى هنا ..

التفت إليها لأهتف بدهشة فرحة :

ـ (مايا) .. أنت عبقرية ..

أما (مجدى) فقد اربد وجهه ، وهبَّ من مقعده ليضغط على أحد الأزرار فى الحائط من خلفه ، لتتحول إضاءة المكان كله إلى اللون الأزرق ، فهب كل من فى القاعة من أماكنهم ليتجهوا بتنظيم وسرعة إلى المخرج الخلفى للمكان ، بينما هتف (مجدى) بغضب لا حد له :

ـ خائنة ..

وضغط على زر فى الجدار ، فأسرع ثلاثة من الحراس ضخام الأجساد تجاهنا ، ليشير (مجدى) لهم صارخًا ، وهو يبتعد :

ـ اقتلوهما فورًا ..

وهكذا وجدت نفسى فى موقف لا أحسد عليه ..

(مجدى) والجميع يهربون .. والحراس الثلاثة يخرجون مسدساتهم ، ليسددوها تجاهنا ، وتلك الإضاءة الزرقاء اللعينة تجعل الرؤية غير واضحة بصورة أو أخرى .. والخيار لى هذه المرة .. إما أنا أو هم ..

وهكذا رفعت مسدسى تجاههم ، وأطلقت النار ، فى اللحظة التى أطلقوا فيها النار هم أيضًا . .

أطلقت رصاصة من أجل الخدعة التى رسم (مجدى) تفاصيلها . .

ورصاصة من أجل الصحفى وعائلته الذين قتلتهم دون ذنب جنوه . .

ورصاصة من أجل (على) . .

ورصاصة من أجل مستر (هايد) !!

وأطلقوا هم عشرات الرصاصات . .

وحين انتهى الأمر كانت جثث الحراس الثلاثة ملقاة أرضًا ، وكانت الدماء تنزف من ثقب فى جانب صدرى باطراد . .

للحظة تجمد الزمن . . تجمد المشهد كله أمامى فى صورة العشرات يخرجون فى صفوف ، والإضاءة الزرقاء ، وأدخنة الرصاصات ترقصُ فى السماء . .

ثم سقطت (مايا) !!

تهاوت فجأة بجوارى ، والدماء تنزف من عدة ثقوب فى جسدها ، ومن ركن شفتها ، فلم أشعر بنفسى إلا و أنا أنحنى صارخًا :

ـ (مايا) . . لاااا . .

حركت عينيها الرماديتين الساحرتين لتنظر لوجهى بضعف بالغ ، وقالت :

ـ آسفة . . لم أتمكن من التحرك فى الوقت المناسب . . يا إلهى . . لقد أصابوك أيضًا . .

كنت فى حالة لم تسمح لى بالشعور بإصابتى ، ولا بالدماء التى أفقدها بلا توقف . . كنت فى حالة لم تسمح لى سوى أن أقول :

ـ (مايا) . . أنا . . لكن . .

ابتسمت لأول وآخر مرة لتقول :

ـ لا وقت لهذا . . أصغ إلىّ جيدًا . . (مجدى) يكذب . . لقد أرسلك لقتل ذلك الصحفى وعائلته ؛ لأنه كاد أن يكشفه ، وجعلك تفعل هذا فى مركز الشرطة ؛ ليتخلص منك أنت أيضًا ، بعد أن استنفد حاجته منك . .

لم أملك نفسى من أن أسألها سؤالى الأخير :

ـ كيف عرفت ؟!

أجابتنى بآخر طاقة للحياة داخلها :

ـ لأنه جعلنى شريكته فى كل ما حدث . . هذا هو ما فعلته . . آسفة . .

ثم إنها حاولت قول المزيد ، لكن .. لكن ..

لكن الوهج فى عينيها الرماديتين انطفأ ..

والآن (مجدى) هرب ..

والآن المكان أصبح خاويًا على عروشه ، يحمل آثار أشخاص لن يعرفوا أنهم كانوا هنا من قبل .. والآن أنا أتحامل على نفسى لأحمل جثة (مايا) المسكينة لتمتزج دماؤنا ، ولأخرج من المكان ، حيث بدأ صفير سيارات الشرطة فى التعالى ..

وحين خرجت أخيرًا كانت أضواء سيارات الشرطة تنعكس على وجهى وهى تتوقف ، ليخرج منها الكثير ، دون أن أستطيع تمييز ملامح أحد ..

فى الواقع إننى لم أصبح قادرًا على حمل جثة (مايا) أكثر من هذا ..

فى الواقع إننى لم أعد أقدر حتى على الوقوف .. وبدا لى أن الأصوات من حوالى تأتى من بعيد .. بعيييد .. !!

كان هذا آخر ما أذكره قبل أن أتهاوى أرضًا لأغيب عن الوجود ..

☆ ☆ ☆

الاثنين ١٤ / ٩ الساعة ٢,١٥ عصرًا
المكان : وزارة الداخلية ..

بالطبع لم أمت ليلتها ، بما أننى من يحك لك كل ما حدث .. لكنى كنت أتمنى الموت ألف مرة كل ليلة أتذكر فيها (مايا) ..

الطلب الوحيد الذى طلبته منّى فى حياتها ، هو ألا أدعهم يقتلونها ، وأنا فشلت فى تحقيق أمنيتها الوحيدة ..

والآن .. أشعر وكأننى فقدت شيئًا لن أجده فى حياتى مجددًا ..

بالطبع تم نقلى للمستشفى ، حيث أجروا لى عملية جراحية عاجلة ، ثم فترة فى العناية المركزة ، ثم المزيد من الفحوصات ، والإجراءات .. إلى آخر هذا الهراء ، لكن الغريب أن هذا كله تم بشكل سرى ، وفى مستشفى عسكرى خاص ..

بعد هذا بدأت مرحلة الاستجوابات والتحقيقات ، وفحصوصات خاصة من أساتذة الطب النفسى ، وكل

تلك الأشياء التى تجعلك تندم أنك لم تلق مصرعك تلك الليلة ..

وفى النهاية أرسلوا إلىّ من يخبرنى بأن وزير الداخلية يرغب فى مقابلتى .. وبالطبع وافقت .. كأننى أملك الخيار !!

وها أنا أجلس أمامه الآن ، وقد أصبحت أحمل فى أعماقى أطنانًا من المرارة التى تجعلنى عاجزًا عن التركيز فى شىء ..

بدأ هو الحديث ليقول :

ـ عزيزى (سامى) .. أعرف أنك لازلت تتعافى من إصابتك ، لكن ما أود أن أعرضه عليك الآن لا يحتمل التأجيل .. فى الواقع لقد جئت لأعرض عليك صفقة ..

رددت فى حذر :

ـ صفقة ؟!

أجابنى الوزير :

ـ نعم .. صفقة .. أو فلنقل : اقتراح قدمه لنا الخبراء .. أنت تعرف بالطبع تفاصيل كل ما حدث ،

لذا لن أطيل عليك بإعادة سرده ، ومما لا تعرفه أن الدكتور (مجدى) هرب من البلاد قبل أن نتمكن من اللحاق به ، ودون أن نعرف الوجهة التى هرب إليها ، وإن كان لدنيا اعتقاد خاص أنه فى فرنسا .. المشكلة أن تلك المنظمة التى صنعها حقيقية ، وفى منتهى الخطورة .. لقد قمنا بفحص أجهزة الكمبيوتر التى تركها فى المقر من خلفه ، وقمنا باستجواب بعض من عملوا معه دون أن نحصل منهم على شىء ، فلا أحد منهم يذكر أى شىء مما حدث ، والأسوأ من هذا كله أن بعض هؤلاء الأشخاص يعملون فى مناصب حساسة ويطلعون على أسرار فى غاية الخطورة ، والخصوصية ، ولو كان الدكتور (مجدى) ، قد حصل عليها ، فنحن فى مأزق حقيقى ..

سألته ، وقد بدأت أشعر بالشك :

وما المطلوب منّى بالضبط ؟؟

صمت الوزير برهة ، ثم أجاب ببطء :

ـ الواقع أن وضعك معقد قليلاً .. نحن نعرف أنك ارتكبت جريمتك تحت تأثير التجربة التى أجراها عليك دكتور (مجدى) ، لكن هذه القصة من الصعب شرحها للعامة ، وبالتالى من الصعب أن تعود لعملك أو لحياتك التقليدية كما كانت ..

سألته ، وقد تعاظم شكى أضعافًا وأضعافًا :

ـ ما الذى تقصده بالضبط ؟!

ـ أقصد إن حياتك كـ (سامى محمود) قد انتهت فى تلك الليلة ، وهذا ما أعلناه للجميع ، ووجودك هنا ، وعلاجك وكل هذا تم بشكل سرى بحت ، فلقد قرر الخبراء أن ما يمكن أن يحدث لك ، هو أن تحصل على هوية جديدة ، ووظيفة جديدة فى مكان بعيد .. تمامًا كما يحدث فى برنامج حماية الشهود فى الخارج ..

هكذا إذن ..

إذن ، فهذا هو ثمن المعرفة الذى وعدنى به (مجدى) ويا له من ثمن !!

أن أخسر هويتى .. أن أخسر ماضىَّ بكل ما حدث فيه لأبدأ من جديد بلا أمل فى العودة ..

سألت ، وأنا أشعر بثقل مخيف يجثم على صدرى :

ـ وماذا لو رفضت ؟؟

أجابنى بلهجة محايدة :

ـ سيكون هذا خيارك ، وستضطر لتحمل عواقب هذا الاختيار .. فحتى لو مررت من المحاكمة ، وتم تبرئتك ، فلن يغفر لك العامة ما فعلته أبدًا .. على كل حال فكِّر فيما قلته ..

سألت :

ـ وما هى الوظيفة التى سأحصل عليها لو وافقت ؟

أجابنى بلهجة خاصة :

ـ مسئول أمنى للسفارة المصرية فى فرنسا ..

آآآآآآآآآآه ..

الآن فهمت !!

يريدوننى أن أبحث لهم عن (مجدى) ..

أن أتحول من طريد إلى مطارد ..

« هه .. ما هو رأيك ؟؟ »

سألنى الوزير ، فلذت بالصمت قليلاً ، ثم قلت :

ـ موافق . .

كأننى أملك الخيار !!

☆ ☆ ☆

هذه هى قصتى . . أو فلنقل (سامى محمود) ، فلم أعد أمت لهذا الرجل بصلة بعد أن خرجت من مكتب الوزير . .

أنا الآن (أكرم رشوان) مسئول الأمن فى السفارة المصرية فى فرنسا ، يعرفنى الجميع بكونى رجلاً صامتًا يفضل العزلة على مصاحبة البشر . .

ما لا يعرفه أحد هو أننى أصبحت أخشى الاقتراب من البشر ، فكل ما أراه الآن هو أنصافهم المظلمة ، مغلفة بغلاف اجتماعى أنيق . .

فى كل ليلة أسير وحيدًا فى الطرقات بحثًا عن (مجدى) أو عن أى شخص يخرج من منزله بملامح جامدة ، ليذهب لعمل ـ لن يذكر عنه شيئًا ـ فى مكان مهجور . .

وفى كل ليلة أرى وجهها فى ضوء القمر . . (مايا) . . لكم أفتقدها الآن !! . . ولكم أعرف أننى لن أراها مجددًا !!

هذه هى قصتى أيها السادة . . ماضى مخيف . . بحث مستمر . . وعذاب بلا نهاية . .

ربما قابلتنى يومًا لو زرت فرنسا . .

ربما سمعت عن بعض أحداث العنف ، وعن منظمة جديدة اسمها (منظمة الفوضى) ، تعلن مسئوليتها عن هذه الأحداث . .

ربما كنت أنت أحد أصحاب الوجوه الجامدة . . تستيقظ كل ليلة دون أن تدرى ، لتعمل فيما لن تذكر عنه شيئًا فى الصباح . . فقط مجرد إرهاق بسيط ستشعر به ، وستظن أنك لم تحظ بقدر كاف من النوم !!

ربما كنت تحمل نصفًا مظلمًا داخلك دون أن تعرف ، حتى بوجوده . . ربما . .

ما أعرفه أنا هو أننى أحمل بين ضلوعى نصفى المظلم ، آخذه معى فى كل مكان . . يذكرنى دومًا . . وبلاتوقف . . بالذى فعلته . .

سامى محمود
٢ / ١٠ / ٢٠٠٣
فرنسا

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

الذي فعلته !!



تامر إبراهيم

قصتنا اليوم أيها السادة غير تقليدية ..
هناك تجربة ما .. وقاتل ما .. وامرأة ما ..
وخيوط خفية تربط بين هذا كله ..

قصتنا اليوم أيها السادة غير تقليدية ..
وربما كانت خطرة ! هناك أشخاص ذو وجوه
جامدة ، وهناك مخطط خاص يتبعونه
وهناك أنا أجاهد طيلة الوقت لأعرف شيئًا
واحدًا .. الذي فعلته .. !!

الثمن في مصر ٣٠٠ قـ
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم



